

ملف المستقبل
سرى جداً!!
روايات مصرية للجيب
الرمال الحية
132
الجزء الثانى
د. نبيل فاروق
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٤

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الضياع ..

اعتدل ضابط طاقم الحراسة الرئيسى ، عند بوّابة وزارة الدفاع ، وضرب كعبيه بعضهما ببعض فى قوة ، وهو يرفع يده بالتحية العسكرية ، هاتفًا بطاقمه :

ـ انتباه .

انخفضت المدافع الآلية للجنود ، وهم يؤدون التحية العسكرية بدورهم ، وعيونهم معلّقة بتلك السيارة السوداء الكبيرة ، التى عبرت البوّابة ، دون المرور بقسم الفحص الأمنى الخاص ، والتى تحمل لوحاتها المعدنية رقمًا من وحدة واحدة ، مع شعار خاص ، يشفّ عن هوية راكبها ، الذى قلما يستخدم تلك الرسميات فى تحركه ..

وعبرت السيارة الكبيرة ساحة الوزارة ، قبل أن تتوقّف أمام المبنى الرئيسى ، ويهبط سائقها فى سرعة ، مرتديًا زيًّا عسكريًّا بترولى اللون ، لا يشبه الأزياء العسكرية المألوفة لأى سلاح من أسلحة الجيش

التقليدية ، وفتح باب السيارة الخلفى ، وهو يقول فى احترام بالغ :

ـ مكتب وزير الدفاع ، يا سيادة القائد الأعلى .

لم يكد القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية يغادر السيارة ، حتى هرع إليه مدير مكتب وزير الدفاع ، وهو يهتف فى ترحاب متوتر :

ـ مرحبًا بك فى وزارة الدفاع يا سيِّدى .. معذرة لأننا لم نتبع الرسميات الواجبة ، لاستقبال سيادتكم ، ولكن الوقت مبكر جدًا كما تعلم ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ كان ينبغى أن يحضر الوزير شخصيًا لاستقبالى .

ارتبك مدير المكتب ، وهو يقول :

ـ الواقع أن سيادة الوزير قد .. احم .. أعنى ..

قاطعه القائد الأعلى مرة ثانية ، بصرامة أكبر :

ـ أين (نور) و فريقه ؟!

انتفض جسد مدير المكتب فى عنف ، وحدق فى

وجه القائد الأعلى بذهول مذعور ، وهو يقول بصوت مرتجف :

ـ (نور) ؟! أتقصد المقدَّم (نور) وفريقه ؟! وما شأننا نحن بـ ...

صاح به القائد الأعلى فى غضب هادر :

ـ أين هم ؟!

انتقلت الارتجافة إلى جسد مدير المكتب كله ، وهو يقول :

ـ أقسم لك يا سيِّدى إن ..

صرخ فيه القائد الأعلى :

ـ إياك أن تنطقها .

ثم جذبه فجأة من سترته فى قسوة ، متابعًا :

ـ لو أنك قد نسيت من نحن ، فدعنى أذكرك .. إننا رجال المخابرات العلمية .. مخزن أسرار الدولة ، وأفضل جامعى معلومات فى العالم أجمع ، باعتراف كل الدول .. العدو منها قبل الصديق .. ولأننا كذلك ، فقد

علمنا أنكم تتحفظون على (نور) وفريقه هنا ، فى وحدة سرية ، تابعة لمركز البحث العلمى العسكرى ، و ..

قاطعه فجأة صوت صارم جاف ، يقول :

ـ معلومات قديمة يا ملك الأسرار .

رفع القائد الأعلى عينيه فى حركة حادة ، يتطلّع إلى وزير الدفاع ، الذى هبط فى درجات السلم فى تؤدة ، متابعًا :

ـ ها قد حضرت لاستقبالك بنفسى كما أردت .. أرجو أن يسعدك هذا .

اعتدل القائد الأعلى ، وابتسم فى سخرية ، قائلاً:

ـ آه .. من الواضح أن آلات المراقبة هنا تنقل الصوت والصورة بوضوح كاف .

أشار الوزير بسبَّابته ، قائلاً :

ـ وبكفاءة تامة .

غمغم القائد الأعلى :

ـ بالتأكيد .

ثم أضاف فى صرامة :

ـ والآن أين (نور) وفريقه ؟!

هزَّ الوزير كتفيه فى برود ، وهو يقول :

ـ كلمة (فريقه) هذه لا تنطبق على الموقف تمامًا ، فليس لدينا سوى عائلة (نور) .. هو وزوجته وابنته فحسب .

قال القائد الأعلى فى حزم :

ـ وماذا عن (أكرم) ؟!

مطَّ الوزير شفتيه ، وقال :

ـ لم يدعه أحد إلى هنا .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ولكنه هنا .

هزَّ الوزير رأسه فى بطء ، وهو يقول فى عمق :

ـ لا أحد منهم هنا .

صاح به القائد الأعلى :

ـ ماذا فعلت بهم ؟!

تألّقت عينا الوزير ببريق عجيب ، وهو يجيب :

ـ أرسلت عائلة (نور) فى مهمة خاصة .

هتف القائد الأعلى مستنكرًا:

ـ مهمة ؟! ومن أعطاك الحق فى هذا ؟!

أجابه الوزير بصرامة شديدة :

ـ مصلحة (مصر)..

ومن المؤكَّد أن عبارته كانت صحيحة إلى حد كبير ، على الرغم من أنه لم يعن فعليًا أى حرف واحد منها .. فلقد بدأ الأمر كله بعاصفة ..

عاصفة عاتية ، انقضّت فجأة ، على فريق بحث علمى عسكرى ، فى قلب صحراء (مصر) الغربية ، فى أثناء فحصه لنيزك قديم ، كشفت الأقمار الصناعية وجوده ، غارقًا على عمق ثلاثين مترًا ، فى قلب الرمال ، منذ ملايين السنين ..

وفى نفس اللحظة ، التى كشف فيها فريق البحث ،

أنه ليس أمام نيزك عادى ، وإنما جسم كروى معدنى منتظم ، تخفيه الرمال منذ ملايين السنين ، كانت العاصفة تقتلع الجميع ..

بل تسحقهم سحقًا بلا هوادة ..

دون أن تترك لهم أدنى أثر ..

وعلى الرغم من أن (نور) وفريقه قد تم إيقافهم عن العمل ، وتحويلهم إلى محاكمة عسكرية ، بسبب تجاوز غير قانونى ، خلال عمليتهم السابقة(*) إلا أن وزير الدفاع قد قرر الاستعانة بهم لكشف لغز العاصفة ..

تلك العاصفة ، التى بدت على شاشات الرصد ، أشبه بعملاق من الرمال ، ينقضّ بكل غضب ومقت الدنيا على الكل ..

وكان على (نور) و(سلوى) و(نشوى) أن يبذلوا قصارى جهدهم ، لكشف اللغز ..

ولكن العاصفة ضاعفت من الغموض ألف مرة ، عندما سحقت فريق بحث آخر ، فى البقعة نفسها ..

(*) راجع قصة (القوة) .. المغامرة رقم (١٣٠)

ودون أن تترك أيضًا أدنى أثر ..

ثم إن فحص ذلك النيزك ، قد جلب مفاجأه جديدة ..

لقد كان ينبض ، فى أعماق الرمال ..

ينبض ، تمامًا كقلب بشرى ..

وراح الغموض يتضاعف ..

ويتضاعف ..

ويتضاعف ..

ولم يعد هناك سوى سبيل واحد ، لكشف الحقائق كلها ..

المواجهة المباشرة ..

مواجهة الصحراء ..

ورمالها ..

تلك الرمال النابضة ..

الحية ..

وحتى لا تقتلعهم العاصفة ، منحهم وزير الدفاع أقوى مدرعة ، ابتكرتها العقول العلمية العسكرية المصرية ..

المدرَّعة (صلب) ..

ولكن (أكرم) كشف خداع الوزير لـ (نور) ورفيقتيه ..

ذلك الوزير ، الذى يوحى كل شىء فيه بأنه لا ينتمى إلى (مصر) ..

أو حتى إلى كوكب الأرض كله ..

وسقط (أكرم) فى قبضة حراس الوزير ..

وفى الوقت ذاته ، انطلق (نور) و(سلوى) و (نشوى) ، مع فريق من الجنود ، والمدرَّعة الفائقة (صلب) ، إلى نفس الموقع (ص) الذى اختفى عنده فريقا البحث السابقان ..

موقع الرمال الحية ..

القاتلة ..

ولم يحتمل (أكرم) البقاء حبيسًا ، ورفاقه يواجهون خطر الموت ، فى قلب الصحراء ..

وبمهارة مدهشة ، فرَّ من سجنه ، واستولى على طوَّافة الوزير ، بمعاونة مستشاره العلمى العسكرى ، الدكتور (كريم) ..

وبينما انطلق (أكرم) والدكتور (كريم) فى الطوَّافة ، وخلفهم المقاتلات النفاثة ، التى أرسلها الوزير لإسقاطهما ، كان (نور) ورفيقتاه ، وفريق العسكريين معهم ، يواجهون ثورة الطبيعة الهائلة ، القاسية ، الغامضة ..

ويواجهون عاصفة الرمال ..

الحية ..

وعندما بلغ (أكرم) و الدكتور (كريم) الموقع ، كانت العاصفة قد انتهت ..

ولم يكن هناك أثر لـ (نور) والباقين ..

أدنى أثر(*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (العاصفة) .. المغامرة رقم (١٣١) .

« مصلحة (مصر) أم مصلحتك الشخصية .. » ؟!

قطع القائد الأعلى أفكار الوزير بعبارته الحادة هذه ، فأدار عينيه إليه فى برود ، قائلاً :

ـ لا فارق بين مصلحتى الشخصية ومصلحة (مصر).

أجابه القائد الأعلى ، فى صرامة شديدة .

ـ رأيك يختلف كثيرًا مع رأيى ..

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف بصرامة أكبر :

ـ ومع رأى رئيس الجمهورية أيضًا .

تفجر الغضب فى ملامح الوزير وصوته ، وهو يقول :

ـ رئيس الجمهورية ؟! هل ..

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ لقد أبلغت سيادة الرئيس بما فعلته ، وهو فى طريقه إلى هنا ، للتحقيق بنفسه فى الأمر ، ومعرفة الأسباب الحقيقية ، التى دفعتك إلى تجاوز كل القوانين والأعراف ، على هذا النحو المستفز .

اشتعلت عينا الوزير بلهيب مخيف ، وهو يقول :

ـ الرئيس شخصيًّا ؟!

ثمّ اعتدل ، وشدّ قامته على نحو عجيب ، مضيفًا بسخرية وحشية :

ـ عظيم .. دعه يأتى .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى دهشة قلقة ، وهو يتطلّع إلى وزير الدفاع فى شك حذر متوتر ..

لقد كانَ رد فعله عجيبًا !!

عجيبًا بحق !

ثم إن ملامحه قد بدت مختلفه ، عما اعتاده القائد ، منذ كان زميلين ، فى صفوف الجيش ..

شىء فيه تغيّر ..

تغيّر كثيرًا ..

ولكن القائد الأعلى طرد ذلك القلق من رأسه فى سرعة ، وهو يكرِّر سؤاله :

ـ المهم الآن : أين (نور) و(سلوى) و(نشوى) ؟!

ارتسمت ابتسامة شامتة عجيبة ، على شفتى القائد الأعلى ، وهو يجيب :

ـ اختفوا .

هتف القائد الأعلى بدهشة مذعورة :

ـ اختفوا ؟! ما الذى تعنيه ؟!

أشار الوزير بيده ، وهو يقول ، بنفس اللهجة الشامتة العجيبة :

ـ سترى الفيلم ، الذى التقطته الأقمار الصناعية العسكرية بنفسك ..

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ لقد سحقتهم عاصفة صحراوية عاتية .

اتسعت عينا القائد الأعلى فى ارتياع ، والوزير يتابع فى ظفر :

ـ أما زميلهم الوقح (أكرم) فأعتقد أن مقاتلاتنا قد نسفته نسفًا الآن .. فى البقعة نفسها .

واكتسى صوته بأضعاف أضعاف شماتته الأولى ، وهو يضيف :

ـ للأسف .. لقد وصلت متأخرًا يا رجل .. لقد انتهى أمر فريق (نور) .. انتهى تمامًا .

واتسعت عينا القائد الأعلى للمخابرات العلمية أكثر وأكثر ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها حوَّامة رئيس الجمهورية فى السماء ..

وكان من المستحيل أن يصدّق ما نطق به وزير الدفاع فى سهولة ..

إلا أن عقله انطلق يتساءل فى ارتياع : تُرى ماذا أصاب (نور) وفريقه فى قلب الصحراء الغربية ؟!

ماذا ؟!

ماذا ؟!

★ ★ ★

« مستحيل ! .. »

انطلقت الصرخة من حلق (أكرم) حاملة كل ذعر وهلع وانزعاج الدنيا ، وهو يدور بالحوَّامة فوق المنطقة (ص) التى بدت هادئة ، ساكنة ، خالية تمامًا ، من أدنى أثر للحياة ..

أو حتى للموت ..

كان كل شىء يبدو كما لو أن المنطقة ما زالت بكرًا ، لم يطأها بشر قط ..

وبكل ذعره وارتياعه ، هتف (أكرم) :

ـ أأنت واثق من أن هذه هى المنطقة (ص) ؟!

اتسعت عينا الدكتور (كريم) فى هلع ، وهو يجيب :

ـ ألم تر العاصفة بنفسك ؟!

هزَّ (أكرم) رأسه فى قوة ، غير مصدّق لما رأته وتراه عيناه ، وهو يردِّد :

ـ ولكن هذا مستحيل ! مستحيل !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انبعث من اللاسلكى صوت صارم ، يقول :

ـ من السرب السابع المقاتل إلى (نسر ــ ١) .. استسلم فورًا ، أو نطلق النار .. هذا هو الإنذار الأوَّل والأخير والوحيد .. سنمنحك عشر ثوان فحسب .

صاح الدكتور (كريم) مذعورًا :

ـ رباه ! سينسفوننا نسفًا .. ولابد أن نستسلم .. لابد .

صاح به (أكرم) فى عصبية :

ـ لو استسلمنا سيسحقنا وزيرك سحقًا .

صرخ الدكتور (كريم) :

ـ ليس أمامنا خيار آخر .. لا مفرّ هنا منهم قط .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وراح ينخفض بالحوّامة ، نحو رمال الصحراء ، فى نفس الوقت الذى دارت فيه المقاتلات دورة واسعة ، وارتفعت إلى عنان السماء ، استعدادًا للانقضاض على الحوّامة ، والدكتور (كريم) يواصل صرخاته :

ـ أعلن الاستسلام .. أعلن الاستسلام ، قبل أن يظفروا بنا .

ولكن (أكرم) واصل الانخفاض فى سرعة ، وعيناه معلقتان بالساعة الرقمية الصغيرة ، التى تشير إلى أنه لم يعد أمامهما سوى أربع ثوان ..

ثلاث ..

اثنتان ..

وبكل قوته ، دفع باب الهليوكوبتر ، ثم جذب إليه الدكتور (كريم) ، هاتفًا :

ـ هيا بنا .

انطلقت صرخة رهيبة مذعورة ، من بين شفتى الدكتور (كريم) ، وهما يهويان من ارتفاع سبعة أمتار ..

وفى اللحظة نفسها ، ضغط قائد المقاتلات زر الإطلاق ..

وانطلق صاروخ صغير نحو الحوّامة ..

حوّامة وزير الدفاع الشخصية ..

ومع ارتطام جسديهما بالرمال ، ارتطم الصاروخ بالحوّامة ..

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، تردّد صداه فى الصحراء كلها تقريبًا ، وانطلقت منه موجة من اللهب ، كادت نيرانها تلفح الرجلين ، وتحيل جسديهما إلى جمرتين مشتعلتين ..

وراح الدكتور (كريم) يصرخ ويصرخ ، وهو

يضمّ ساقيه إلى صدره ، ويخفى وجهه فى الرمال ، فى حين انبطح (أكرم) أرضًا ، وعضّ شفتيه فى ألم ، مع الشظية الملتهبة ، التى اخترقت فخذه اليسرى ، ومع غضبه وغيظه وثورته ، على كل ما يحدث منذ البداية ..

ولثوان ، بدا الانفجار وتوابعه وكأنهما سيستغرقان دهرًا كاملاً ، وتناثرت معهما عواصف عنيفة من الرمال ، فى حين ارتفعت المقاتلات مرة أخرى ، وقائدها يقول عبر اللاسلكى ، بصوت بارد جاف :

- تم التعامل مع الهدف .. النتائج إيجابية .

كان يتوقّع جوابًا من وزير الدفاع شخصيًا ، إلا أنه فوجئ بصوت يصرخ فى أذنيه ، عبر موجة اللاسلكى الفائقة :

- أى هدف أيها التعس ؟! لقد ارتكبت الآن أبشع جريمة أخلاقية فى الدنيا .

ارتفع حاجبا القائد ، فى توتر عصبى ، وهو يقول :

- لقد كنت أنفذ أوامر الوزير شخصيًا .

صاح صاحب الصوت ، فى غضب أكثر :

- وزيرك أيضًا سيدفع ثمن ما فعله غاليًا .

تراجعَ حاجبا القائد ، ثم انعقدا فى عصبية زائدة ، وهو يهتف :

- من المتحدِّث ؟!

هتف صاحب الصوت فى حدة :

- ألم تتعرَّفنى يا رجل ؟!

ثم أضاف فى غضب هادر :

- أنا الرئيس .. رئيس الجمهورية .

امتقع وجه قائد المقاتلات ، واحتبس صوته فى حلقه ، فلم ينبس ببنت شفة ، فى حين تابع الرئيس فى لهجة صارمة غاضبة :

- عد فورًا إلى القاعدة ، وانتظر استدعاءك لتدلى بشهادتك فى هذه المهزلة الدموية .

غمغم قائد المقاتلات فى مرارة :

- أوامرك يا سيادة الرئيس .

وفى نفس اللحظة ، التى استدارت فيها المقـاتلات ، عائدة إلى القاعدة ، سعل الدكتور (كريم) فى عصبية ، وقال بصوت مختنق :

ـ هل ابتعدوا ؟!

رفع (أكرم) عينيه إلـى السماء ، ونفض الرمـال عن وجهه ، وهو يغمغم :

ـ نعم .

سعل الدكتور (كريم) مـرة أخرى ، وانقلب على ظهره ، وهو يلهث قائلاً :

ـ رباه ! تصوَّرت لحظة أنهم سينسفوننا بصـاروخ آخر .

نهض (أكرم) ، وتابع المقاتلات المبتعدة ببصره ، وهو يتمتم فى توتر :

ـ ربما أخفتنا سحب الرمال عن أعينهم .

هزَّ الدكتور (كريم) رأسه ، وغمغم :

ـ مستحيل ! لقد صممت أجهزة مقاتلاتهم بنفسى .. إنها تحوى أجهزة كشف حرارية دقيقة .

هزَّ (أكرم) رأسه بدوره ، وهو يقول :

ـ أجهزة حرارية ، وسط كل هذه النيران والرمال الملتهبة ؟! لست أعتقد أن أية أجهزة فى الوجـود ، يمكن أن تبلغ هذه الدقة .

تمتم الدكتور (كريم) فى ألم :

ـ ربما .

ثم تأوَّه ، مستطردًا :

ـ لقد تحطَّمت كل ذرة فى عظامى .. إنك لم تنتبه إلى فارق السن بيننا ، عندما قمت بهذه القفزة الحمقاء .

تجاهله (أكرم) وهو يتطلَّع إلى الرمال الممتدَّة إلى ما لانهاية ، مغمغمًا :

ـ هل كنت تفضِّل الاحتراق ، داخل هيكل الحوَّامة ؟!

عضَّ الدكتور (كريـم) شفته السفلى ، قـائلاً فى مرارة :

ـ من يدرى أيهما أكثر رحمة .. إننا هنا وحدنا ، فى بقعة غامضة مخيفة من الصحراء يا رجل .. ألم تـدرك هذا بعد ؟!

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وهو يدير بصره فيما حوله ، قائلاً :

ـ المهم أننا فى نفس الموقع ، الذى اختفى فيه (نور) و(سلوى) و(نشوى) .

نفض الدكتور (كريم) الرمال عن صدره ، قائلاً :

ـ لا تتعجَّل يا هذا .. قريبًا ربما أمكنك أن تضيف اسمينا إلى القائمة ، أو تضع رأسينا فى الـ ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى يده بتوتر بالغ ، قبل أن يعتدل جالسًا ، وهو يهتف :

ـ رباه ! هذه الرمال ..

التفت إليه (أكرم) ، متسائلاً :

ـ ماذا بها ؟!

بدا الرجل متردِّدًا ، وهو يتمتم :

ـ ألا تبدو .. أعنى أن الرمال فى المعتاد .. أقصد أن ...

زفر (أكرم) فى عصبية ، قائلاً :

ـ هذا ما كان ينقصنا .. وسواس قهرى ، فى قلب صحراء قاحلة .

انحنى الدكتور (كريم) يفحص الرمال فى اهتمام ، وهو يغمغم :

ـ صدقنى .. إنها ليست ..

لم يتمّ عبارته كالمعتاد ، فزفر (أكرم) مرة أخرى ، وأشاح بوجهه عنه ، وهو يشير بيده إلى أطنان الرمال ، التى تحيط بهما من كل صوب ، قائلاً :

ـ استيقظ يا دكتور (كريم) .. استيقظ .. هذه الرمال هى نفس الرمال ، التى تحيط بنا من كل جانب .. انظر .. إنها هنا .. وهنا .. وهنا .. لا يخلو شبر واحد منها .. أتدرى لماذا ؟!

سمع من خلفه شهقة مكتومة ، فمطَّ شفتيه فى سخط ، وهزَّ رأسه ، متابعًا فى ضجر عصبى متوتر :

ـ لأن هذه هى الصحراء .. الصحراء يا رجل .. تلك المساحات الصفراء ، التى كنا ندرسها فى خرائط الجغرافيا القديمة ، قبل أن يرتبط كل شىء بالكمبيوتر والإليكترونيات .. انظر إليها ، و ...

التفت إليه مرة أخرى ، وهو يلقى كلمته الأخيرة ، فاحتبست حروفها فى حلقه ، وتحجَّرت على لسانه ، وهو يحدِّق فيما حوله ذاهلاً مذعورًا ..

فمنذ ثوان معدودة ، سمع شهقة الدكتور (كريم) ..

أما الآن ، فهو يقف وحده ، وسط صحراء شاسعة ، مترامية الأطراف ..

ولم يعد هناك أثر للدكتور (كريم) ..

على الإطلاق .

★ ★ ★

٢ ـ الرمـــال ..

شفَّت كل ذره فى كيان رئيس الجمهورية عن الغضب والثورة ، وهو يواجه وزير الدفاع ، فى مكتب هذا الأخير ، قائلاً :

ـ هل لك أن تفسِّر لنا ما فعلته ؟!

أجابه الوزير فى هدوء مستفزّ :

ـ كنت أحمى (مصر) .

صاح الرئيس :

ـ بأية وسيلة ؟! الغش ، والخداع ، والتحايل ، ودفع خيرة شباب الوطن إلى موت محتوم .

هزَّ الوزير كتفيه فى برود ، قائلاً :

ـ ومن أدرانى أن هذا سيحدث لهم ؟!

قال القائد الأعلى فى حدة :

ـ طبقًا لما رأيناه وقرأناه ، ولكل التقارير العلمية الرسمية ، كان من الطبيعى أن نتوَقّع هذا .

مطّ الوزير شفتيه ، قائلاً بنفس البرود :

ـ لقد منحتهم أقوى مدرعة اخترعتها عقولكـ .. عقولنا ، وكان المفترض أن تنجح فى حمايتهم والحفاظ عليهم .

قال الرئيس فى غضب :

ـ من تخدع بالضبط ؟!

ارتسمت على شفتى الوزير ابتسامة مستفزة ، وهو يقول :

لست بحاجة إلى خداع أحد .

لوّح الرئيس بسبّابته فى وجهه ، قائلاً فى غضب :

ـ بل تحتاج إلى خداع الجميع يا رجل .. هل أخبرك لماذا ؟! لأنك نسخة طبق الأصل من سلفك .. لا تعرف للقوة بديلاً ، لحل أية مشكلة تواجهك ، وتؤمن بأن العسكريين ، والعسكريين وحدهم ، هم القادرون على إنقاذ البلاد من أية مخاطر ، وتأمينها ضد أية نوائب أو كوارث .

شدّ الوزير قامته ، قائلاً فى صرامة :

ـ هذا صحيح بكل تأكيد .. الشعوب المقاتلة وحدها تبقى لتحصد غنائم النصر فى النهاية .

قال القائد الأعلى فى امتعاض :

ـ أى مبدأ حقير هذا ؟!

اشتعلت عينا الوزير على نحو مخيف ، وهو يجيب :

ـ مبدأ الأقوياء .

انعقد حاجبا الرئيس فى توتر بالغ ، وهو يحدّق فى عينى الوزير ، فى حين تراجع القائد الأعلى بحركة حادة ، وهتف :

ـ يا إلهى !

وبصوت رنان عجيب ، تابع الوزير ، وعيناه تتسعان ، وتكتسبان استدارة مخيفة ، وهيئة لا تمت للبشر بأدنى صلة :

ـ مبدؤنا نحن ..

بدا وكأن رئيس الجمهورية قد أصيب بصاعقة مباغتة ، وهو يثب وثبة خلفية ، جعلته يرتطم بالجدار ، وهو يصرخ:

ـ رباه ! إنك لست .. لست .

ارتسمت ابتسامة وحشية على شفتى الوزير ، وبرز من خلف شفتيه الرفيعتين نابان طويلان جعلاه أشبه بمصاصى الدماء ، فى أفلام الرعب الغربية ، وهو يقول بصوته العجيب ، الذى بدا أشبه بأجراس نحاسية مكتومة :

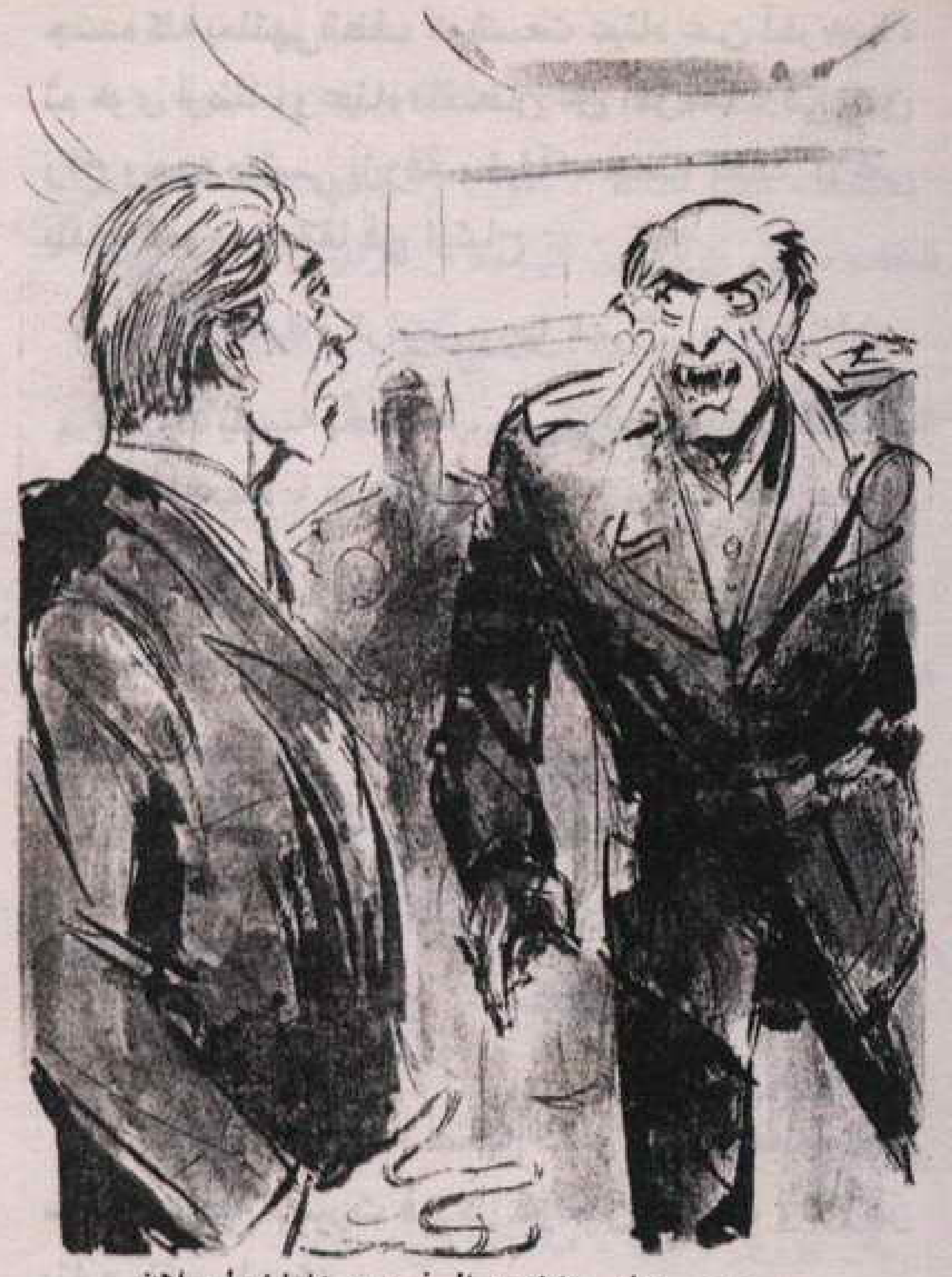
ـ لست بشريًا .. أليس كذلك ؟!

مع آخر حرف من حروف كلماته ، اقتحم حارساه الشخصيان الحجرة بغتة ، وانقضا على الرئيس والقائد الأعلى ، فاستلّ الأخير مسدسه الليزرى فى سرعة ، وهو يهتف :

ـ مستحيل ! مستحيل !

انطلقت من مسدسه طلقة صائبة ، اخترقت رأس أحد الحارسين ، الذى انتفض فى عنف ، ثم هوى أرضًا ، وراحت ملامحه تتبدّل فى سرعة ، لتكتسب هيئة شبيهة بهيئة الوزير ..

أما الحارس الآخر ، فقد انقضّ على الرئيس ، وانحنى يتفادى لكمة سريعة منه ، قبل أن يدفع أصابعه ، لتغوص فى معدة الرئيس ، الذى انتفض



وبرز من خلف شفتيه الرفيعتين نابان طويلان جعلاه أشبه بمصاصي الدماء ..

جسده كله بمنتهى العنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، ثم هوى أرضًا ، وعيناه متسعتان عن آخرهما ، فى حين راح وجهه يكتسي بزرقة مخيفة ، جعلت القائد الأعلى يندفع نحوه ، هاتفًا فى ارتياح :

ـ رباه ! سيادة الرئيس .. يا إلهى .. يا إلهى !

ولم يكد يلمسه بأصابعه ، حتى تراجع بمنتهى العنف ، واتسعت عيناه ، حتى كادتا تلتهمان وجهه كله ، وهو يهتف :

ـ يا رب العالمين !! إنه بارد جامد كالثلج :

لم يكد ينطقها ، حتى سمع صوت الوزير الرنان ، من خلف أذنه مباشرة ، وهو يقول ، بصوت أشبه بالسخرية ، على الرغم من خلوه من أية نبرات واضحة :

ـ لا تجعل هذا يدهشك .

ثم انغرست فى كتفه أصابع كالفولاذ ، انبعثت منها موجة جليدية ، سرت فى كل ذرة من كيانه ، والوزير يتابع بنفس لهجته :

ـ فستلحق به بعد لحظة واحدة .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وانتفض جسده بمنتهى العنف ، قبل أن يهوى إلى جوار الرئيس ..

وفى هدوء ، عادت ملامح الوزير تستعيد هيئتها البشرية ، وحارسه يقول فى غضب :

ـ كان ينبغى أن يموتا .. لقد قتلا (سينور) .

أجابه الوزير فى صرامة ، بلغة لا مثيل لها على كوكب الأرض كله :

ـ ليس بعد .

ثم أشار إلى شاشة الرصد ، قائلاً :

ـ ينبغى أن ننهى أولاً أمر ذلك الشيء .

استدار حارسه إلى الشاشة ، وهو يقول فى توتر :

ـ أكاد أجن ، كلما تصورت أنه هنا ! كيف فعلوا هذا ؟!

هزّ الوزير رأسه ، مغمغمًا فى سخط :

ـ لست أدرى .. لقد كانت مفاجأة حقيقية .

وصمت لحظات ، وكأنما يستجمع أفكاره ، قبل أن يتابع :

ـ ولكن هذا الشيء ينبغى أن يذهب ، قبل منتصف الليلة ، وإلا لصار كل ماسعينا من أجله بلا طائل .

سأله حارسه :

ـ وهل سيمكننا هذا ؟! لقد أصبحنا اثنين فحسب ، بعد مصرع (سينور) .

قال الوزير فى صرامة :

ـ سنفعلها ، حتى ولو أرسلنا كل قوات الجيش المصرى لحسم الأمر .

واستعادت شفتاه تلك الابتسامة الساخرة الباردة ، وهو يتابع :

ـ سنقاتل حتى آخر قطرة دم .. أرضية .

ألقى الحارس نظرة على جسدى الرئيس والقائد الأعلى ، قائلاً :

ـ وماذا عما حدث هنا ؟! لقد شاهد الكل رئيس الجمهورية ، وهو يدخل إلى هنا ، و...

قاطعه الوزير ، وهو يتجه بخطوات واسعة ، نحو الجسدين المتجمدين :

ـ وماذا يا رجل ؟! هل نسيت ما بلغته تكنولوجيتنا المتطوِّرة ؟!

قالها ، وهو ينحنى ، ويلمس جسد الرئيس بسبَّابته ، و ...

وتموَّج وجهه على نحو مدهش ..

ثم ذابت ملامحه ..

وعادت بدلاً منها ملامح جديدة ..

ملامح هى صورة من وجه رئيس الجمهورية ..

صورة طبق الأصل ..

★ ★ ★

جحظت عينا (أكرم) ، ودارتا فى محجريهما ، وهو يعدو فى كل مكان ، حول المنطقة (ص) ، فى ارتياع كامل ، صارخًا :

ـ أين أنت يا دكتور (كريم) ؟! أين ذهبت يا رجل ؟!

كان الموقف فى مجمله يدفع بالفعل للجنون ..

الدكتور (كريم) كان على قيد خطوات قليلة منه ، منذ لحظات ..

ثم فجأة ، لم يعد له أثر ..

أدنى أثر ..

حتى البقعة الرملية ، التى كان يرقد فوقها ، لم تعد تحمل آثار رقاده ..

لقد بدت وكأنما لم تمسسها يد بشر من قبل ..

أو كأن كل هذا لم يحدث ..

لم يحدث أبدًا ..

وبكل اليأس ، سقط (أكرم) على ركبتيه ، هاتفًا فى مرارة :

ـ دكتور (كريم) .

كانت الرمال تمتدّ من حوله لآلاف الأمتار ، خاوية ، خالية ، منتظمة ، على نحو يوحى بأنه قد انتقل بغتة عشرة آلاف عام إلى الوراء ..

أو حتى ملايين السنين ، كذلك الشىء الراقد على عمق ثلاثين مترًا من الرمال ..

تلك الرمال الرهيبة ، المخيفة ، الـ ...

وفجأة ، توقّفت أفكاره دفعة واحدة ، وقفزت إلى كيانه كله كلمة واحدة ..

الرمال !

ماذا عن الرمال ؟!

لقد كان آخر ما أشار إليه الدكتور (كريم) ، قبل أن يتلاشى تمامًا ، هو الرمال ..

من المؤكّد أن شيئًا ما بها قد جذب انتباهه ..

واهتمامه ..

وبكل لهفته ، وتوتره ، وعصبيته ، غرس (أكرم) أصابعه فى الرمال ، ورفع فى كفيه حفنة منها ، راح يحدّق فيها بكل بصره ..

إنها تبدو له رمالاً عادية للغاية ..

مجرّد ذرات من الكوارتز والسليكون ، و ..

ولكن مهلاً ..

كل شىء فى هذه الرمال يبدو عاديًا ..

إلا شيئًا واحدًا ..

شيئًا لم يدر كنهه بالضبط ..

ولكنه شعر به ..

شيئًا ربما يكمن فى بريقها ..

أو حجمها ..

أو ملمسها ..

ولكنه هناك .. فى أعماقها ..

لا يفصح عن نفسه فى وضوح ، ولكنه يجعلك تدرك ، مع النظرة الفاحصة المدقِّقة ، أنك أمام رمال تختلف ..

تختلف تمامًا ..

وبحركة آلية ، دسَّ حفنة الرمال فى جيب سترته ، ثم نهض مرة أخرى ، وهتف بكل غضب وعصبية الدنيا :

ـ ماذا يحدث هنا ؟! ماذا يحدث ؟!

كرَّر هتافه مرة ، ومرة ، ومرات ..

دون أدنى جواب ..

حتى فى أعماقه ..

ولكن فجأة ، انتفض جسده فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهما تدوران لتحدقا فى جيب سترته بذهول ..

ها هو ذا الدليل ..

إنها بالفعل ليست رمالاً عادية ..

ولقد كشف هذا بوسيلة مخيفة ..

ورهيبة ..

للغاية ..

★ ★ ★

« (أكرم) اختفى .. » ..

هتفت (مشيرة) بالعبارة فى مرارة يائسة ، وتفجَّرت الدموع من عينيها فى غزارة ، وهى تلوِّح بيدها ، متابعة :

ـ (نور) و(سلوى) و (نشوى) أيضًا اختفوا ..

مصدرى يؤكد أن شيئًا ما يحدث فى وزارة الدفاع .. شىء مخيف .. هل تصدق أن الرئيس بنفسه يدير وزارة الدفاع الآن ، بعد أن حضر إليها فجرًا ، دون إنذار مسبق ؟!

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وهو يغمغم :

- يا إلهى !

استمر انعقاد حاجبيه طويلاً ، وهو يفكر بعمق شديد ، قبل أن يرفع سبابته ، قائلاً فى حزم :

- ما يحدث فى وزارة الدفاع أمر غير عادى على الإطلاق .

قالت فى سخرية عصبية محنقة :

- حقًّا ؟! لقد أدهشتنى .

اعتدل ، قائلاً فى جدية متوترة ، دون أن ينتبه إلى سخريتها المريرة :

- صحيح أن رئيس الجمهورية يعتبر ، من الناحية القانونية والدستورية ، القائد الأعلى للقوات المسلّحة ، إلا أنه لم يحدث أبدًا أن تولّى بنفسه وزارة الدفاع ،

حتى فى حالات الطوارئ القصوى ، فحتى لو أثبتت تحقيقات ما أن وزير الدفاع خائن مثلاً ، أو يسعى للقيام بانقلاب عسكرى ، ضد الحكومة الشرعية ، كما حدث من قبل(★) فرئيس الجمهورية يعفيه فورًا من منصبه ، ويقوم بتعيين وزير دفاع آخر ، خاصةً وأننا لسنا فى حالة حرب ، أو ..

قاطعته فى عصبية زائدة :

- ومن أدراك ؟!

رفع عينيه إليها فى دهشة مذعورة ، هاتفًا :

- ماذا تعنين ؟!

أجابته فى حدة ، وبلهجة توشك على الانفجار :

- أعنى أن التفسير الوحيد لكل ما يحدث ، هو أننا بالفعل فى حالة حرب .. أو نوشك على الدخول فى هذا بالفعل .

هتف :

- ولكن هذا مستحيل !

(★) راجع قصة (الغزاة) .. المغامرة رقم (١٢٤).

كرَّرت فى عصبية :

ـ ومن أدراك ؟!

ثم نهضت من مقعدها ، مستطردة :

ـ ولن أقف ساكنة أمام هذا .

سألها ، وهو ينهض بدوره :

ـ وماذا يمكنك أن تفعلى ؟!

أجابت فى حزم :

ـ أذهب لمقابلة رئيس الجمهورية ، وأواجهه بكل شىء صراحة .

قال فى غضب :

ـ وأجلس أنا لرعاية الصغيرين .. أليس كذلك ؟!

قالت فى عصبية :

ـ الظروف تحتم هذا .

صاح بغضب أكثر :

ـ أية ظروف ؟! إنه عمل يقوم به الرجل ، بأفضل مما تقوم به أية امرأة .

صرخت فجأة :

ـ ليست مشكلة رجل أو امرأة .

انتفض (طارق) الصغير فى مهده ، مع صرختها ، فخفضت صوتها كثيرًا ، وهى تكرِّر :

ـ ليست قضية جنس أو نوع .. إنها حتميات الأمر فحسب .

سألها بصوت عصبى خافت بدوره :

ـ أية حتميات .

أشارت إلى صدرها ، قائلة :

ـ أنا رئيسة تحرير أكبر وأشهر جريدة مرئية ، فى العالم أجمع ، ويمكننى مقابلة الرئيس فى أى وقت ، لطرح تساؤلات الرأى العام عليه ، وهذا يمنحنى مزية للتحرُّك بسرعة أكبر والحصول على نتائج أكثر دقة .

كانت حجتها قوية ، حتى إنه تطلَّع إلى وجهها لحظة ، فى صمت تام ، قبل أن يغمغم :

ـ أعتقد أنك على حق .

غمغمت فى عصبية :

ـ بالتأكيد .

ثم اختطفت حقيبتها ، واندفعت نحو الباب ، مكملة فى حزم :

ـ سأبلغك النتائج أوّلاً فأولاً .

قالتها ، وأغلقت الباب خلفها فى قوة ، تاركة إياه خلفها ، وهو يعضّ شفته السفلى فى مرارة ، ويلقى نظرة على الصغيرين ، الغارقين فى سبات هادئ عميق ، متمتمًا :

ـ مرحى يا (رمزى) .. أعتقد أنك أخيرًا بحاجة إلى طبيب .

وعضّ شفته السفلى ، مضيفًا :

ـ طبيب نفسى .

نطقها ، والمرارة تتصاعد فى أعماقه ..

وتتصاعد ..

وتتصاعد ..

★ ★ ★

« المقاتلات عادت إلى القاعدة .. »

نطق حارس الوزير العبارة فى حزم ، وهو يتطلّع إلى قائده ، الذى صنعت منه تكنولوجيةَ عالمه المتقدّم صورة طبق الأصل من رئيس الجمهورية ، فالتفت هذا الأخير إليه ، والتمعت عيناه بشدة على نحو مخيف ، وهو يقول :

ـ عظيم .. لن نعود بحاجة إليها .

بدا التوتر فى ملامحِ الحارس وصوته ، وهو يقول :

ـ كنت أتصوّر أننا ..

قاطعه الوزير فى صرامة :

ـ أننا ماذا ؟!

ارتبك الحارس ، وهو يجيب :

ـ أنت تعلم أن ذلك الشىء يعوق طريقنا ، والوسيلة الوحيدة لنجاح مهمتنا ، هى أن نتخلّص منه ، قبل منتصف الليلة ، وإلا ...

قاطعه الوزير فى صرامة أكبر :

- اختصر .

ازدرد الحارس ما يشبه اللعاب فى حلقه ، وهو يقول :

- كنت أتصوَّر أننا سنسعى لنسفه .

رمقه الوزير بنظرة نارية ، قائلاً :

- وكيف ننسف شيئًا يكمن تحت ثلاثين مترًا من الرمال ؟!

لوَّح الحارس بيده ، قائلاً فى توتر :

- بقنبلة .

قال الوزير بلهجة شرسة مستنكرة :

- قنبلة ؟! حتى قنابلنا ، التى تفوق قنابلهم ألف مرة ، لا يمكنها أن تفعل هذا يارجل ، وخاصةً مع جسم بالغ الصلابة والقوة ، مثل الـ (ميجالون) .

مال الحارس نحوه ، هامسًا فى توتر بالغ :

- وماذا عن القنابل النووية والأيونية :

انعقد حاجبا الوزير فى غضب شديد وهو يهتف !

- غبى .

تراجع الحارس بحركة حادة ، فتابع الوزير فى غضب هادر :

- حركة خاطئة حمقاء كهذه تكفى تمامًا ، لتبلغ المهمة التى أتينا من أجلها ذروة الفشل .. لو استخدمنا قنبلة نووية أو أيونية ، ستنسحق المنطقة بأكملها ، وترتفع درجة الإشعاع فيها إلى حد قاتل ، يكفى لمنع قومنا من الوصول إلى هنا بعد كل ما خططنا له وقمنا به .

ارتبك الحارس بشدة ، وهو يقول :

- لم أكن أتصوَّر هذا .

صاح به فى غضب صارم :

- حاول إذن أن تتصوَّره ، فالساعات القادمة لا تحتمل أدنى خطأ .

لم يكد يتم عبارته ، حتى سمع دقات على باب المكتب ، فقال فى صرامة ، وهو يعتدل فى وقفته على نحو عسكرى :

- ادخل .

دلف مدير مكتب الوزير إلى المكان ، وهو يتنحنح فى حرج ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيادة الرئيس .. لست أدرى كيف حدث هذا ، ولكننى لا أستطيع العثور على السيد وزير الدفاع ، أو القائد الأعلى للمخابرات العلمية .. أنا واثق من أن أحدهما لم يغادر المكان ، ولكن ..

قاطعه فى صرامة ، بصوت الرئيس :

ـ ماذا لديك بالضبط يا رجل ؟! إنك لم تأت إلى هنا لتقول هذا .. أنا أعلم أين الوزير والقائد الأعلى ، فلا تشغل نفسك بأمرهما .

اتسعت عينا الرجل ، وهو يهتف بكل الدهشه :

ـ تعلم ؟!

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يهتف به :

ـ ماذا جاء بك الآن ؟!

انتفض مدير المكتب ، وتلعثم لحظة ، قبل أن يزدرد لعابه فى صعوبة ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيادة الرئيس .. أعلم أن أوامرك تقتضى

عدم إزعاجك ، إلا للضرورة القصوى ، ولكن السيِّدة (مشيرة) هنا ، وتقول : إنها تعلم بوجودك ، وتصرَّ على مقابلتك فورًا .

حدَجه الوزير بنظرة كاللهب ، وهو يقول :

ـ تعلم ؟! ومن السيِّدة (مشيرة) هذه ؟!

أجابه مدير مكتب الوزير فى دهشة :

ـ السيِّدة (مشيرة محفوظ) يا سيِّدى .. رئيسة تحرير جريدة (أنباء الفيديو) .. إنها صديقة شخصية لسيادتكم ، و ..

قاطعه فى صرامة :

ـ آه .. تذكَّرت ..

ثم عاد يسأله فى حدة :

ـ ولماذا تصرُ على مقابلتى فورًا .. المفترض ألا يلتقى رئيس الجمهورية بأى مدنى ، إلا بناءً على رغبته هو ، وعلى موعد سابق .

تنحنح مدير مكتب الوزير فى توتر ، وهو يجيب :

ـ هذا لا ينطبق على الصحافة ، وبالذات على السيِّدة (مشيرة) يا سيادة الرئيس .

هتف به الرئيس فى غضب :

ـ من قال هذا ؟!

ازدرد مدير المكتب لعابه بمنتهى الصعوبة ، مجيبًا :

ـ أنت يا سيادة الرئيس .. إنها أوامرك الشخصية .

انعقد حاجبا الرئيس فى شدة ، وهو يردِّد :

ـ أوامرى الشخصية ؟! يا للسخافة !

حدَّق مدير مكتب الوزير فى وجهه بدهشة بالغة ، فتابع فى صرامة :

ـ على أية حال ، دعها تنتظر قليلاً ، فهناك أمور أكثر أهمية الآن .. أمور تتعلَّق بأمن وسلامة البلاد .

شفَّ صوت وملامح مدير المكتب عن حيرته ودهشته وارتباكه ، وهو يتراجع مغمغمًا :

ـ كما تأمر يا سيادة الرئيس .. كما تأمر .

ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى قال الحارس فى توتر :

ـ أتظنه يشك فى أمرنا ؟!

هزَّ الوزير رأسه ، قائلاً :

ـ عقولهم لم ترق بعد إلى هذا المستوى .

تنهَّد الحارس ، قائلاً فى عصبية :

ـ ليتنى أمتلك هدوءك وثقتك أيها القائد (كونار).

ارتسمت على شفتى الوزير ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

ـ مستحيل أيها الضابط (بولار) !! مستحيل ! لو أنك تمتلكهما ، لما كنت مجرَّد ضابط تابع لقيادتى .

بدا الضيق على وجه الحارس ، وهو يقول فى خفوت عصبى :

ـ بالتأكيد أيها القائد (كونار) .. بالتأكيد .

تألَّقت عينا (كونار) فى ظفر واضح ، وهو يقول فى صرامة :

ـ دعنا من هذا الآن ، وصلنى بمركز الأقمار الصناعية العسكرية .. أريد أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، تـألّقت شاشـة الكمبيوتـر ، وانبعث منها صوت يقول :

ـ سيادة الرئيس .. لقـد عثـرنا على المدرّعـة (صلب) .

ارتفع حاجبا الحارس فـى دهشـة ، فى حين هتف (كونار) فى ظفر :

ـ عظيم .. كنت أعلـم هـذا .. كنت واثقًا مـن أنـه مـن المستحيل أن تسـحق العاصـفة كتلـة هائلة كهـذه .

ثم ضغط زر الاتصال ، قائلاً بصوت ولهجـة رئيس الجمهورية :

ـ أين عثرتم عليها بالضبط ، وكم تبعد عن الموقـع (ص) ؟!

صمت صاحب الصـوت لحظـة ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ لقد عثرنا عليها فى الموقع (ص) نفسه يا سيادة الرئيس .

هتف (كونار) بدهشة حقيقية :

ـ كيف ؟!

أجابه صاحب الصوت :

ـ سترى بنفسك يا سيادة الرئيس .

ومـع آخـر حـروف عبـارته ، ظهرت على الشاشة مجموعة من صور أقمار الاستكشاف الصناعية ..

ثم برزت الصـورة الأولى فى الترتيب ، وتضخّمت لتشمل الشاشة كلها ، و ...

واتسعت عيون (كونار) وضابطه عن آخرهما ..

فقد كانت المفاجأة مذهلة ..

إلى أقصى حد .

* * *

٣ ـ منطقة الرعب ..

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى حفنة الرمال ، التى التقطها من المنطقة (ص) ، وهى تتسلَّل خارج جيبه فى انسيابية مدهشة ..

نعم .. إنك لم تخطئ قراءة العبارة ..

لقد كانت حفنة الرمال تتسلَّل بالفعل من جيبه ..

كانت قد تجاذب بعضها إلى البعض ، وبدت أشبه بأفعى رفيعة طويلة ، انزلقت خارج جيبه ، وسقطت عند قدميه ، وزحفت مبتعدة ، وهو يحدِّق فيها بكل ذهول الدنيا ..

وعلى مسافة مترين منه ، توقَّفت أفعى الرمال ..

ثم تلاشت بغتة ..

تفكَّكت ذراتها دفعة واحدة ، وتحوَّلت مرة أخرى إلى حفنة من الرمال ..

مجرَّد حفنة من الرمال ..

ولدقيقة كاملة أو يزيد ، تجمَّد (أكرم) فى موضعه ، وبدا أشبه بتمثال من الشمع ، وعيناه متسعتان عن آخرهما ، وعقله يرفض بشدة تصديق ما أبصره ، أو ما شعر به ..

لقد تحرَّكت حفنة الرمال فى جيبه ..

تحرَّكت كما لو أن الحياة قد دبَّت فيها بغتة ..

ومنذ تلك اللحظة وهو فى ذهول ..

ذهول بلا حدود ..

وبكل ذلك الذهول ، تمتم :

ـ مستحيل ! مستحيل !

وبحذر بلغ منتهاه ، تقدَّم نحو حفنة الرمال ، وانحنى يفحصها بمنتهى الدقة ..

كان من المستحيل تمييزها عن الرمال المحيطة بها ، بعد أن امتزجت بها تمامًا ، وتلاشت فيها ، كقطرة ماء سقطت وسط المحيط ..

ولكن كل الرمال كانت تختلف ..

لم تكن أبدًا مجرَّد رمال صحراء عادية ..

كانت كلها ذات طبيعة عجيبة ..

رهيبة ..

مذهلة ..

ونهض (أكرم) وكل ذرة فى كيانه تتفجَّر بانفعال جارف ، وعيناه تدوران فيما حوله ، بكل توتر وتحفز وحذر الدنيا ..

كان يتخيَّل أنه فى أية لحظة ، ستنهض رمال الصحراء الحية ، لتنقضّ عليه بلا رحمة .. وخفق قلبه بعنف ..

بمنتهى العنف ..

وفجأة ، أدرك كم هو وحيد فى هذه المنطقة ..

منطقة الرعب ..

وحتى فى وضح النهار ، بدت له الصحراء ، لأوَّل مرة فى حياته ، رهيبة مفزعة ، تحمل الموت فى كل ذرة منها ..

كل ذرة رمال ..

ثم وثب إلى ذهنه بغتة خاطر مخيف ، جعل عيناه تتسعان عن آخرهما مرة أخرى ، وهو يحدّق فى الرمال ، هاتفًا فى هلع :

- رباه ! (نور) .. (سلوى) .. (نشوى) !!

تذكَّر مع هتافه أنه ما زال يرتدى ساعته الإليكترونية ، الخاصة بموجة الاتصالات المحدودة الخاصة بالفريق ، فرفعها إلى وجهه فى سرعة ، وضغط زر البث فيها ، وهو يقول فى عصبية بالغة :

- (نور) .. هل تسمعنى ؟! هنا (أكرم) .. هل تسمعنى بالله عليك يا (نور) ؟!

كان يكرِّر النداء للمرة الخامسة ، عندما انتفض جسده فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وارتدّ إلى الخلف بحركة حادة ..

فعلى بعد متر واحد منه ، نهض عمود من الرمال ، من قلب الصحراء ، ثم التوى ، وتشكَّل فى هيئة أفعى كوبرا هائلة ..

أفعى من الرمال الحية ، انقضَّت عليه مباشرةً ..
ويمنتهى العنف ..

★ ★ ★

فركت (مشيرة) كفيها ، وهى تتحرك فى عصبية ، داخل قاعة الانتظار الرئيسية ، فى وزارة الدفاع ، قبل أن تلتفت إلى مدير مكتب الوزير ، قائلة :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟! إننى أنتظر منذ ما يقرب من نصف الساعة ، وهذا لم يحدث أبدًا من قبل .

هزَّ مدير المكتب رأسه ، مغمغمًا فى توتر :

ـ إنها أوامر سيادة الرئيس .

هتفت :

ـ مستحيل ! أنا أعرف الرئيس جيِّدًا ، أكثر مما يعرفه أى أحد منكم ، وهو لن يتركنى هكذا ، دون اعتذار أو تفسير .. إنها ليست أوَّل مرة أتعامل فيها معه .

انفرجت شفتا مدير المكتب لحظة ، على نحو يوحى بأنه يهمّ بالتحدُّث ، إلا أنه لم يلبث أن أطبقهما ، واكتفى بهزَّة رأس ، قبل أن يتمتم فى خفوت شديد :

ـ إنها أوامره .

انعقد حاجباها ، وهى تحدِّق فى وجهه بعصبية ، قبل أن تسأله فى حدة :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

حدَّق الرجل فى وجهها ، بنظرة هى أقرب إلى الذعر ، منها إلى الدهشة ، ثم أشاح بوجهه فى سرعة ، قائلاً :

ـ وما الذى يمكن أن يحدث ؟!

أجابته فى حدة أكثر :

ـ أخبرنى أنت .

أدار إليها عينين زائغتين ، متعبتين ، فيهما من الحيرة والتوتر والقلق قدر ، يكفى لتفجير ألف سؤال وسؤال ، فهتفت به ، وهى تمسكه بقوة من كتفيه :

- ما الذى يحدث هنا بالله عليك ؟!

أزاح كفيها عن كتفيه ، صائحًا :

- لست أدرى .

انطلقت صيحته ، وهو يهبّ من مقعده ، ويندفع إلى ركن الحجرة ، وكأنما يحاول أن يحتمى بشىء ما ، قبل أن يكرّر ، فى عصبية مريرة :

- أقسم لك .. لست أدرى .

واتسعت عيناها بكل ارتياع الدنيا ..

أسلوبه ولهجته وملامحه كانت توحى بأن سؤالها قد أصاب قلب توتره فى الصميم ..

هناك حتمًا شىء ما ..

شىء يعجز الرجل عن فهمه ..

أو استيعابه ..

أو حتى تقديره ..

شىء يتجاوز كل القواعد ، التى عرفها طيلة عمله ..



انطلقت صيحته ، وهو يهبّ من مقعده ، ويندفع إلى ركن الحجرة ، وكأنما يحاول أن يحتمى بشىء ما ، قبل أن يكرّر ...

أو طيلة عمره ..

شيء يقلقه ..

وربما يخيفه ..

أو يفزعه ..

شيء نطقت بـه كـل ذرة مـن صوتـه وكيانـه كلـه ، على نحو جعلها تتجـه نحوه ، وتسأله فى صرامـة عصبية :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟!

تلفت الرجل حولـه فـى ذعـر ، ودارت عينـاه فـى زوايا السقف ، وكأنمـا يتوقّـع أن يكـون مراقبًا مـن مكان ما ، فمالت نحوه ، هامسة بكل التوتر :

ـ أهو أمر يتعلّق بالرئيس ؟!

ازدرد لعابه فى صعوبة ، هامسًا بدوره :

ـ بل بالجميع .

تراجعت فى دهشة مذعورة ، وهى تهتف :

ـ الجميع ؟!

رفع سبّابته إلى شفتيه فى ذعـر ، يدعوها لخفض صوتها ، ثم واصل بكل التوتر ، وكأنما قرَّر أخيرًا أن يزيح الحمل عن ظهره :

ـ كل شىء هنـا يدور بأسلوب غريب ومختلف ، منذ كشفوا وجود ذلك النيزك .

سألته فى توتر أكثر :

ـ أى نيزك ؟!

أشار بإبهامه إشارة مبهمة ، مجيبًا :

ـ نيزك الصحراء الغربية .

لم تكن تعلم شيئًا عن ذلك النيزك ، إلا أنها لـم تشـأ أن تفسد الأمر بسؤال فـى غير موضعه ، لذا فقـد سألته فى اهتمام شديد :

ـ ماذا حدث ، منذ ذلك الحين ؟!

كان من الطبيعى ، بحكم منصب الرجل وموضعـه ، ألا يجيب سؤالها هذا ، إلا أنـه كـان مـن الواضح أن الحمل قد صار أكثر مما يمكن أن يحتويه صدره ، لـذا فقد أجاب فى سرعة وهمس وتوتر :

- إننى لم أر الوزير ، فى حياتى كلها ، أكثر اهتمامًا بأمر ما ، منه بهذا الأمر ، حتى إنه جنّد كل إمكانيات القوات المسلّحة لبحثه ودراسته ، إلى الحد الذى جعله يجازف بدفع جهاز (م م ـ ١) إلى الساحة .

لم تكن قد سمعت عن جهاز (م م ـ ١) هذا من قبل ، إلا أنها لم تستوقف الرجل لتسأله عنه ، كما كان يمكن أن تفعل ، فى ظروف أخرى ، وإنما أرهفت سمعها ، ومنحت كل انتباهها واهتمامها لكلماته ، وهو يتابع :

- وعندما ابتلعت تلك العاصفة العجيبة كل شىء ، أرسل جهازًا آخر ، دون الرجوع إلى أية جهة أمنية ، على الرغم من أن سر اختفاء الجهاز الأوّل لم ينكشف بعد ، ولقد ابتلعت العاصفة الجهاز الثانى أيضًا .

سألته :

- ألهذا استعان بـ (نور) وفريقه ؟!

لوّح الرجل بذراعيه فى عصبية ، وهو يقول :

- لقد أرسلهم إلى المنطقة (ص) ، مع جهاز ثالث ، وهو يعلم أنه لا أمل لهم فى النجاه .

اتسعت عيناها ، وهى تهتف بارتياح :

- يا إلهى !

تابع الرّجل ، وهو يجفّف عرقه بعصبية بالغة :

- وبعدها اعتقل زميلهم .

هتفت :

- (أكرم) ؟!

تابع مدير مكتب الوزير ، وكأنه لم يسمعها :

- وسرق زميلهم حوّامة الوزير ، بعد أن نجح فى الفرار من زنزانته ، وانطلق بها ، مع مستشار الوزير العلمى ، إلى المنطقة (ص) ، ولكن الوزير أطلق المقاتلات خلفهما ، وأمرها بنسف الحوّامة نسفًا .

انتفض جسدها كله فى ارتياع ، ورفعت كفيها إلى وجهها فى ذعر ، هاتفة :

- (أكرم) ؟! يا إلهى ! (أكرم) !!

كانت اللّوعة تسرى فى كل ذرة من كيانها ، وهى تسمع كلماته ، الخاصة بزوجها ، وبكل أصدقائها فى

العالم ، ولكنها كتمت كل مشاعرها هذه فى أعماقها ، ليتابع هو :

- ثم فجأة ، حضر القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وكان غاضبًا ثائرًا ، ولحق به بعد قليل السيِّد رئيس الجمهورية شخصيًا ، فى سابقة هى الأولى من نوعها ، واجتمع الثلاثة فى حجرة الوزير ، و .. ، و ..

لم يستطع إكمال عبارته ، مع احتقان وجهه من فرط الانفعال ، وانحباس كلماته فى حلقه ، فسعل بعصبية لا محدودة ، قبل أن يقول بصوت مختنق منفعل :

- ثم غادر الرئيس المكتب .

انعقد حاجباها فى شدة ، مع تلك النبرة المقلقة فى صوته ، فانخفض صوتها فى حذر لم تدر سببه ، وهى تسأل :

- الرئيس وحده ؟!

أومأ برأسه إيجابًا فى توتر شديد ، فتابعت بصوت أكثر انخفاضًا وحذرًا :

- هل بقى الوزير والقائد الأعلى فى المكتب ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وازدرد لعابه فى صعوبة بالغة ، وهو يجيب :

- كلاً .. لقد .. لقد ..

سألته مستحثَّة :

- لقد ماذا ؟!

خُيِّل إليها أنه يجاهد بشدة ، لتخرج الكلمات من بين شفتيه ، وهو يجيب :

- لقد اختفيا ..

حدَّقت فى وجهه مرة أخرى ، بعينين حائرتين مرتبكتين ، قبل أن تكرِّر :

- اختفيا ؟! ماذا تعنى بالضبط ؟!

انفرجت شفتاه ليجيبها ، إلا أن عيناه اتسعتا بغتة ، وامتلأتا بذعر لا محدود ، وهو يحدِّق فى شىء ما خلفها ، على نحو جعلها تلتفت فى حركة حادة إلى حيث ينظر ، فارتطم بصرها بحارس الوزير ، الذى التمعت عيناه بنظرة ملتهبة مخيفة ، وهو يقول :

ـ الرئيس يطلبك .

لغة المذكَّر التى استخدمها ، جعلتها تدرك على الفور أنه يقصد مدير مكتب الوزير ، الذى امتقع وجهه ، وارتعدت أطرافه ، وامتلأت عيناه بكل ذعر الدنيا ، وهو يقول :

ـ يطلبنى أنا .

بدا التحفز فى وقفة الحارس ولهجته ، وهو يمدّ يده ، قائلاً :

ـ هيا .

خُيِّل إليها أن الرجل سيسقط جثة هامدة ، من فرط الذعر ، وهو يدفع قدميه دفعًا ، نحو الحارس ، الذى أمسك ذراعه فى قوة ، جعلت جسد (مشيرة) يرتجف ، قبل أن يلتفت إليها الحارس ، ويقول بلهجة أكثر صرامة :

ـ الرئيس ليس لديه الوقت ليقابلك الآن .. واصلى الانتظار لو أردت .

ودون أن يهتمّ بسماع جوابها ، جذب مدير مكتب الوزير خارج قاعة الانتظار فى خشونة ، ثم أغلق الباب خلفه فى قوة ..

واتسعت عينا (مشيرة) فى ارتياع ..

لقد كان (رمزى) على حق ..

ما يحدث فى وزارة الدفاع هذه المرة ليس عاديًا .. ليس عاديًا أبدًا ..

وبحسم حازم ، اختطفت حقيبتها الصغيرة ، واندفعت لتغادر قاعة الانتظار ، و ..

« إلى أين يا سيِّدتى ؟! »

قفزت من مكانها مذعورة ، مع ذلك الصوت الخشن الجاف ، وفوهة المدفع الآلى ، المصوَّبة إلى رأسها مباشرة ، وهتفت فى عصبية :

ـ إلى الخارج .. أهناك ما يمنع هذا ؟!

أجابها الجندى بنفس الخشونة :

ـ الرئيس لم يسمح بانصرافك بعد .

صاحت به :

ـ لم يسمح بماذا ؟! إننى صحفية يا رجل .. جئت إلى هنا للقيام بعمل محدود ، ولم يمكننى هذا ، والمفترض أننى حرة فى الـ ..

قاطعها الجندى فى غلظة :

ـ لا يمكنك أن تغادرى المكان ، دون أن يسمح الرئيس بهذا .. إنها أوامره .

اتسعت عيناها ، وهى تسأله :

ـ أوامر من ؟!

أجاب بغلظة أكثر ، ومدفعه الآلى مصوَّب إلى رأسها مباشرة ، وسبَّابته متحفزة على زناده :

ـ أوامر السيِّد رئيس الجمهورية .

ظلَّت تحدِّق فيه لحظة بدهشة ، ثم لم تلبث أن هتفت :

ـ وماذا لو أننى أصرّ على الانصراف ؟!

أجاب بكل الغلظة والخشونة :

ـ فى هذه الحالة ستغادرين المكان فى سيارة نقل الموتى .

أدركت ما يعنيه على الفور ، فعادت عيناها تتسعان فى ارتياع ، وتراجعت إلى داخل قاعة الانتظار ، التى

أغلقها الجندى خلفها فى حزم ، وتركت جسدها يسقط على أقرب مقعد صادفها ، وفكرة واحدة تشتعل فى رأسها ، ويلتهب لها كيانها كله ..

لقد انضمَّت إلى القائمة ، وأصبحت أسيرة بدورها فى منطقة نفوذ وزارة الدفاع ..

منطقة الرعب ..

★ ★ ★

كان المشهد والموقف أعنف مما يمكن أن يحتمل أى مخلوق ..

حتى (أكرم) ..

رمال الصحراء دبّت فيها الحياة بغتة ، وتحوّلت إلى أفعى كوبرا هائلة(*) انقضّت على (أكرم) ، فى عنف يوحى بأنها ستفترسه فى لحظة واحدة ..

(★) الكوبرا : ثعبان سام ، فى (إفريقيا) و (آسيا) ، ينشر عنقه عندما يغضب ، والكوبرا أشهر الثعابين المصرية وأخطرها ، وتكثر على جوانب الترع والمقابر القديمة ، تأكل السحالى والضفادع والطيور ، تحسن السباحة ، وتزحف بسرعة كبيرة .

بلا رحمة .. أو هوادة ..

أو منطق ..

وفى موقف كهذا ، من الطبيعى أن يتجمَّد المرء فى موضعه ، من فرط الرعب ..

وأن يتلقَّى الضربة ، قبل حتى أن يستوعب ما يحيق به ..

ولكن غريزة (أكرم) سبقت عقله بخطوة ..

خطوة واحدة ، جعلته يخفض رأسه ، ويثب جانبًا ، فى نفس اللحظة التى انقضَّت فيها أفعى الرمال ..

وبحركة سريعة ، وبعد أن استعاد عقله وعيه ، واستعادت أعصابه كيانها ، استدار يواجه أفعى الرمال مرة أخرى ..

وكذلك استدارت الأفعى تواجهه ..

وكاد قلبه يتوقَّف رعبًا ، عندما ارتفعت الأفعى الرملية أكثر وأكثر ..

ثم تضخَّم حجمها مرة .

ومرة ..

ومرات ..

وفى لحظات ، تحوَّلت إلى كيان هائل مخيف ..

كيان حدَّق فيه بعينين من الرمال ، تحملان كل غضب ووحشية الدنيا ، ثم تراجع لينقضَ عليه مرة ثانية ..

ووثب (أكرم) جانبًا ، بكل ما يملك من سرعة وقوة ..

وانقضت أفعى الرمال ..

وثبته جعلته يتجاوز انقضاضتها ..

تقريبًا ..

ففى اللحظة الأخيرة ، شعر بكتلة حادة ضخمة ، ترتطم بذراعه اليسرى ، وتكاد تخلعها من موضعها فى عنف ..

ومع الضربة ، تحطَّم حزام ساعته ، وطارت الساعة فى الهواء ، لتستقر على مسافة متر واحد منه ، على رمال الصحراء ..

ومرة أخرى ، ارتفعت أفعى الرمال ..

وفى هذه المرة أيضًا تضخمُ حجمها ..

وتضخمً ..

وتضخمً ..

ولهث (أكرم) فى شدة ، من فرط التوتر والانفعال ، وهو يحدّق فى جبل الرمال الذى انتصب أمامه ، واستعدَّ للانقضاضة الأخيرة ..

القاتلة ..

وفى هذه المرة ، أدرك (أكرم) أن تفادى انقضاضة كيان رملى هائل كهذا ، أمر شبه مستحيل !

أو هو المستحيل نفسه ..

لذا فقد تجمَّد فى مكانه ، وراح يرفع عينيه ، متابعًا امتداد أفعى الرمال وارتفاعها ، و ...

وفجأة ، انقضَّت الأفعى ..

وجاءت انقضاضتها مباشرة ..

قوية ..

عنيفة ..

وصائبة ..

وانتفض جسد (أكرم) فى عنف ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

فأفعى الرمال لم تنقض عليه ، وإنما على هدف آخر ..

على ساعة الاتصال الإلكترونية للفريق ..

انقضَّت عليها الأفعى ، بكل عنف وشراسة الدنيا ، ودفعتها فى قوة ، فى قلب الرمال ، حتى اختفت تمامًا ..

وبعدها هوت الأفعى على الرمال ..

وتلاشت فيها دفعة واحدة ..

وفى لحظات ، عاد كل شىء إلى هدوئه ، وصمته ، وسكونه ، واستقراره ..

دون أدنى أثر على الرمال ..

وحدّق (أكرم) فى موضع الساعة بذهول ، وهو يغمغم :

- تحت الرمال .. إذن فكل شىء يختفى تحت الرمال .. هذا هو التفسير الـ ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه حتى بلغتا أقصاهما ، وهو يصرخ :

- رباه ! (نور) .. (سلوى) .. (نشوى) .. الدكتور (كريم) !! يا لها من ميتة بشعة ! مستحيل أن يكون هذا ما أصابهم !! مستحيل .

لم يكد يتمّ صرخته ، حتى اخترق أذنيه هدير حوامات تقترب ، فرفع عينيه إلى السماء بحركة حادة ..

ورآها ..

خمس حوّامات نقل عملاقة ، تتجه نحو المنطقة (ص) مباشرة ، حاملة حفارات عملاقة ، تكفى لصنع فجوة هائلة ، فى قلب الصحراء ، وحولها خمس حوّامات مقاتلة أخرى ، تبدو وكأنها تحرسها وتحميها ..

وبسرعة مدهشة ، هبطت الحوّامات المقاتلة ، وأحاطت بـ (أكرم) ، وقفز منها عشرون جنديًا ، صوّبوا إليه جميعًا مدافعهم الليزرية القوية ..

وفى هدوء واثق ، لحق بهم (بولار) ، حارس الوزير ، وتألّقت عيناه فى ظفر ، وهو يقول :

- عجبًا ! لقد التقينا مرة أخرى يا سيّد (أكرم) .

ولم ينبس (أكرم) ببنت شفة هذه المرة ..

لقد انشغل عن كلمات الحارس ، بمتابعة تلك الحفارات العملاقة ، وهى تستقر على رمال الصحراء ..

ومرة أخرى ، وثبت إلى ذهنه الفكرة المخيفة نفسها ..

السر كله يكمن تحت الرمال ، فى هذه المنطقة الرهيبة ..

منطقة الرعب ..

(ص) .

* * *

٤ ـ كونـار ..

للمرة السادسة ، خلال ربع الساعة فحسب ، حـاول (رمزى) الاتصال بـ (مشيرة) ، عبر هاتفها الخلـوى الخاص ، دون جدوى ..

وللمرة السادسة ، شعرت كل خلية فى جسده بتوتر لا محدود ..

الموقف يزداد تعقيدًا فى كل لحظة ..

فى البداية خدعهم وزير الدفاع ..

ثم اختفى كل أفراد الفريق ..

والآن (مشيرة) ..

ولو أضفنا إلى كل هذا ما يفعله رئيس الجمهوريـة الآن ، فى وزارة الدفاع ، لوجدنا أمامنا لغزًا غامضًا مخيفًا ..

لغز يحتاج إلى ألف تفسير وتفسير ..

ومع كل توتره وقلقه ، لم يجد أمامـه سوى سبيل واحـد ، فـالتقط سمّاعة هـاتف الفيديـو مـرة ثانيـة ، وضغط أزراره فى سرعة عصبية ، ورأى شاشته تحمل عبارة صارمة :

ـ الاتصال المرئى غير متاح ، من هذا الموقع .

كـان يدرك هذا جيدًا ، قبل حتى أن يسمع صـوت الدكتـور (جـلال) رئيـس مركـز الأبحـاث ، التـابع للمخابرات العلمية ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا (رمزى) .. كيف حالك ؟!

سأله (رمزى) فى توتر ، دون أن يرد تحيته :

ـ هل عاد القائد الأعلى من وزارة الدفاع ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ كلاً .. لم يعد بعد .

مع قوله ، ظهرت صورته واضحة ، على شاشات هـاتف الفيديو ، فـأدرك (رمزى) أنـه قد ضغط زر الاتصال المرئى ، وهو يتابع :

ـ إننى حتى لا أستطيع الاتصـال به ، منذ ما يزيد على الساعة .

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يهتف :

ـ لا تستطيع الاتصال به ؟! يا إلهى !

سأله الدكتور (جلال) ، فى قلق شديد :

ـ ما سر كل هذا الذعر ؟! هل تعلم شيئًا أجهله ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة وتوتر :

ـ إننى عاجز عن الاتصال بالكل .. وبالتحديد بكل من يخطو داخل مبنى وزارة الدفاع .. (نور) .. (سلوى) .. (نشوى) .. (أكرم) .. وحتى (مشيرة) .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ رباه ! هذا يدعم الـ ..

بتر عبارته بغتة ، فهتف به (رمزى) :

ـ ماذا لديك بالضبط ؟!

تردَّد الدكتور (جلال) لحظة ، ثم لم يلبث أن حسم أمره ، قائلاً :

ـ لحظات يا (رمزى) .. سننتقل إلى خط هاتفى مؤمَّن .

انقطعت الصورة لحظات ، ثم عادت أكثر وضوحًا ، والدكتور (جلال) يقول فى حزم :

ـ اسمعنى جيدًا يا (رمزى) .. أنا واثق تمامًا من أنه هناك شىء ما ، غير طبيعى بالمرة ، يحدث فى وزارة الدفاع ، وكذلك فى المنطقة (ص) .

سأله (رمزى) ، فى حيرة متوترة :

ـ وما المنطقة (ص) هذه ؟!

أشار الدكتور (جلال) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ المنطقة (ص) منطقة لم تمتدّ إليها يد العمران أو التنقيب بعد ، فى الصحراء الغربية ، وهى نفس المنطقة ، التى توليها وزارة الدفاع كل اهتمامها ، منذ صباح الأمس .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ـ وماذا عنها ؟!

هزّ الرجل رأسه ، مجيبًا :

ـ لسنا ندرى بعد .. أقمار الرصد الخاصة بنا ، رصدت تحركات غير عادية ، لحوّامات وزارة الدفاع هناك ، كما أننا نرصد أيضًا ذبذبة متغيرة ، تفوق قوة أية ذبذبة أرضية معروفة ، فى تلك المنطقة بالتحديد .

سأله (رمزى) ، وقد امتزج اهتمامه بتوتره :

ـ ومن أين تصدر تلك الذبذبة المتغيّرة ؟!

صمت الدكتور (جلال) لحظة ، ثم قال :

ـ فى البداية ، كانت تلك الذبذبة ضعيفة واهية ، ولكنها تتزايد وتقوى فى سرعة ، و ...

قاطعه (رمزى) فى إصرار :

ـ ومن أين تأتى ؟!

صمت الدكتور (جلال) لحظة أخرى ، وبدا وكأنه يدرس أمرًا ما فى ذهنه ، ثم لم يلبث أن تابع فى سرعة :

ـ ونحن نعتقد أنها ستبلغ خمسة أضعاف شدتها الأولى ، عند منتصف الليل تمامًا ، بحيث تصبح قادرة على ..

قاطعه (رمزى) مرة أخرى ، فى عناد وإصرار أكثر :

ـ من أين تأتى يا دكتور (جلال) ؟! من أين ؟!

تراجع الدكتور (جلال) هذه المرة ، وتطلّع بضع لحظات إلى شاشة الهاتف فى صمت ، قبل أن يعتدل مرة أخرى ، مجيبًا :

ـ إننا نرصدها على ارتفاع عشرين مترًا ، من سطح الأمر ، عند مركز المنطقة (ص) بالضبط .

هتف (رمزى) فى دهشة :

ـ على ارتفاع عشرين مترًا ؟! ومن أين يمكن أن تأتى ذبذبة كهذه ؟!

التقى حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى حزم :

ـ من عالم آخر .

وكانت مفاجأة لـ (رمزى) ..

مفاجأة حقيقية ..

وعنيفة ..

* * *

تألّقت عينا (كونار) ، بلهيب أشبه بأعمق أعماق الجحيم ، وهو يتطلّع إلى (أكرم) فى ظفر شامت ، وهذا الأخير يدخل حجرة الرصد ، مقيّد المعصمين خلف ظهره ، والحارس (بولار) يدفعه فى غلظة وخشونة ..

وعلى الرغم من أن ملامح (كونار) كانت صورة طبق الأصل من ملامح رئيس الجمهورية ، إلا أن (أكرم) وجد نفسه يهتف :

ـ أنت ؟!

أجابه (كونار) فى ظفر ساخر :

ـ نعم .. هو أنا .

ثم اتجه نحوه فى بطء ، متابعًا بنفس اللهجة المستفزة :

ـ عجبًا .. كنت أتصوّرك أقل أفراد الفريق ذكاءً ، كما تقول تقاريرنا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد كشفت أمرى بنظرة واحدة .. هل تعلم أنك الوحيد ، الذى أمكنه هذا ؟!

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ ربما لأنكم أنتم أقل ذكاءً مما تتصوّرون .

اتسعت ابتسامة (كونار) الساخرة ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ الساعات القليلة القادمة ، ستثبت أينا الأكثر ذكاءً وبراعة ، ومن منا يستحق أن يرث الأرض ومن عليها .

بتر عبارته بغتة ، عندما تألّقت أطراف أصابعه بضوء أحمر باهت ، دون إنذار أو مقدمات ، فاتسعت عينا (أكرم) فى دهشة مذعورة ، وهو يحدّق فى تلك الأصابع ، التى بدت أشبه بمصابيح إنذار مخيفة ، أبعدها (كونار) بحركة حادة ، هاتفًا فى غضب :

ـ (بولار) .. أيها الغبى .. كان ينبغى أن يخضع الأسير للفحص الإليكترونى ، قبل أن يقف أمامى هنا .

قال (بولار) بدهشة حقيقية :

ـ ولكنه فعل أيها القائد ، وثبت أنه لا يحمل أية أجهزة إليكترونية .

صاح (كونار) فى غضب :

ـ خطأ .. خطأ .

اتسعت عينا (أكرم) أكثر وأكثر ، وهو ينقل بصره بينهما فى ارتياع ..

لقد نطقا عباراتهما السابقة بلغة عالمهما ..

وبأصواتهما ، التى هى مزيج من الرنين المكتوم ، وفحيح الأفاعى ..

وبذهول فزع ، هتف (أكرم) :

ـ رباه ! إنكما لستما أرضيين .

صاح به (كونار) بلهجة مخيفة :

ـ اخرس أيها الأرضى .

تراجع (أكرم) بحركة حادة ، عندما انقلبت سحنة (كونار) بغتة ، واستعاد ملامحه الأصلية ، وأنيابه المخيفة البارزة ، وهو يقول بوحشية :

ـ إنه يحمل أجهزة إليكترونية دقيقة .. مجسّاتى الفائقة لا يمكن أن تخطئ أبدًا .

هزّ (بولار) رأسه فى حيرة وتوتر ، مغمغمًا :

ـ مستحيل أيها القائد .. لقد ..

قبل أن يتمّ (بولار) عبارته ، انقضّ (كونار) على سترة (أكرم) كذئب شرس ، وانتزعها فى عنف ، جعل (أكرم) يصرخ :

ـ آه .. احترس أيها الوغد .

تجاهله (كونار) تمامًا ، وهو يفحص السترة الممزّقة بلهفة وحشية ، قبل أن تتألّق عيناه ، وتتركزا على بقايا من الرمال ، فى قاع جيب (أكرم) ..

وبحركة عجيبة ، دفع أصابعه ، لتلمس تلك الرمال ..

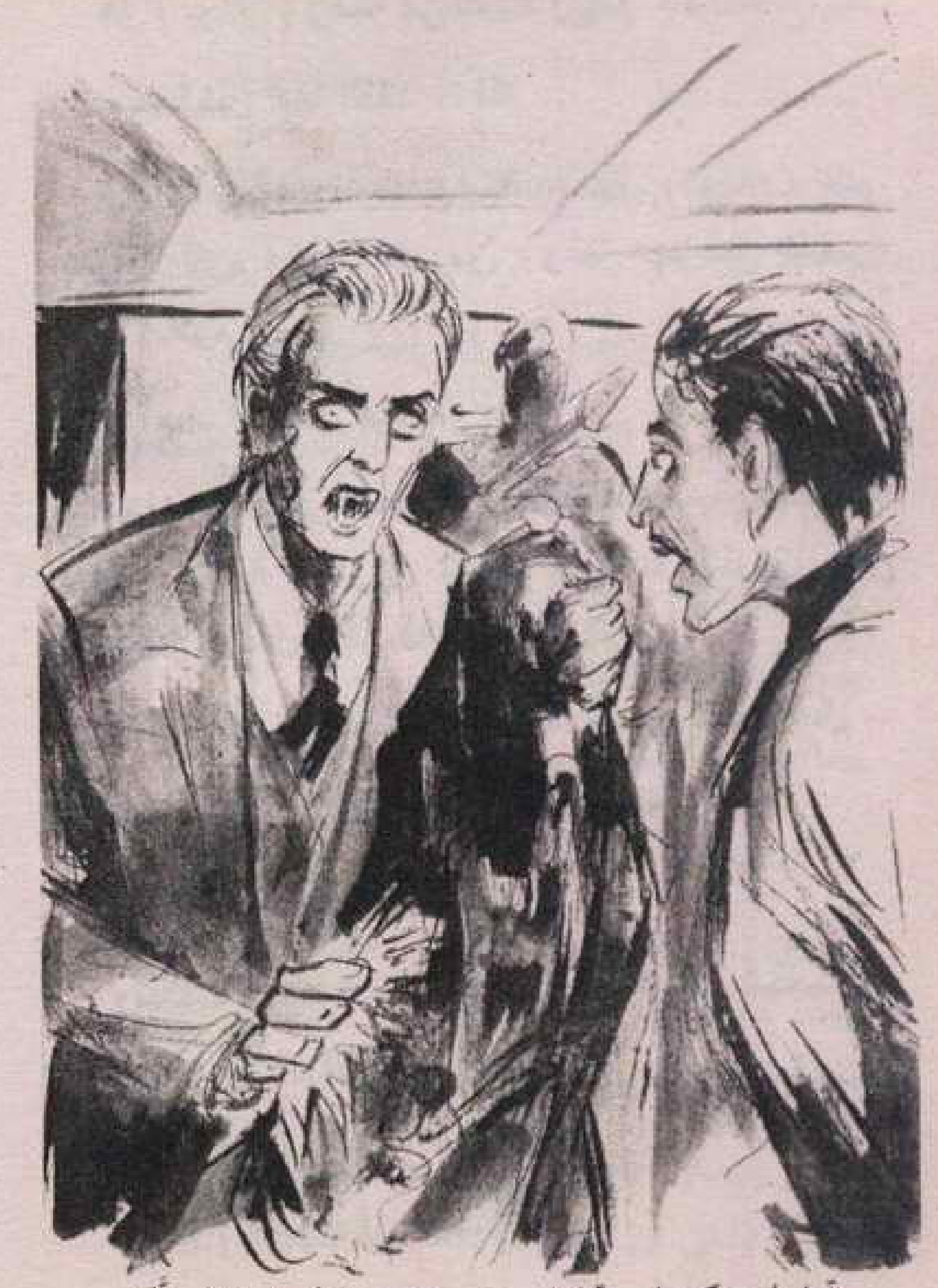
ومرة أخرى ، تألّقت أطراف أصابعه ..

تألّقت بشدة أكبر ..

وتألقت معها كتلتا اللهب ، فى عينى الجاسوس الفضائى ، وهو يهتف :

ـ آه هنا .

غمغم (أكرم) فى عصبية :



تجاهله (كونار) تماما ، وهو يفحص السترة الممزقة بلهفة وحشية ، قبل أن تتألق عيناه ..

ـ إنها مجرد رمال .. ذرات رمال .

صاح فيه (كونار) بوحشية أكثر :

ـ قلت لك : اخرس .

وفى لهفة شديدة ، رفع الرمال إلى عينيه ، وراح يفحصها عن قرب ، قبل أن يناولها إلى حارسه ، قائلا فى صرامة :

ـ اذهب بها إلى القسم الفنى ، واطلب منهم فحصها ، بكل الوسائل الممكنة .

اندفع (بولار) لتنفيذ الأمر ، فى حين هتف (أكرم) بتوتر شديد :

ـ أنتما لستما بشريين .. أليس كذلك ؟!

قلب (كونار) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

صاح به (أكرم) :

ـ أيها الوغد .. ماذا فعلت بالجميع ؟! ماذا فعلت بالوزير الحقيقى ، ورئيس الجمهورية ، و (نور) ورفاقى كلهم .

صمت (كونار) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إلى الشاشة أمامه ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، متجاهلاً (أكرم) تمامًا ، فصاح هذا الأخير بغضب هادر :

ـ ماذا فعلت بهم ؟!

أشار (كونار) إلى الشاشة فى برود ، قائلاً :

ـ (نور) وعائلته هنا .

اشرأبَّ (أكرم) بعنقه ، وهو يتساءل فى لهفة :

ـ أين ؟!

خفض (كونار) سبَّابته ، وهو يجيب ، فى لهجة حملت رائحة شماتة قوية :

ـ هنا .

مال (أكرم) برأسه أكثر ، ليلقى نظرة على الشاشة ، فى الموضع الذى أشار إليه (كونار) بسبَّابته ، قبل أن تتسع عيناه ، ويتراجع كالمصعوق ، هاتفًا :

ـ رحماك يا إلهى ! رحماك .

فعلى الرغم من أنه كان يتوقَّع هذا إلى حد ما ، إلا أن رؤية الأمر مباشرة كانت صدمة حقيقية .. صدمة اقتحمت كل ذرة من مشاعره ..

بلا رحمة ..

* * *

كل شىء كانت تحيط به رمال كثيفة ..

كل شىء ..

وشعرت (سلوى) بأنفاسها تضيق ..

وتضيق ..

وتضيق ..

وبكل قوتها ، حاولت أن تدفع أطنان الرمال بعيدًا عن صدرها ..

عن رأسها ..

عن كيانها كله ..

ولكن أنفاسها راحت تضيق أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومن بعيد ، تسلَّل إلى مسامعها صوت دقات قلب ، راحت تتعالى ..

وتتعالى ..

وتتعالى ..

وبسرعة ، تحولت إلى دوى قوى ، أشبه بدوى عشرات الطبول الضخمة ، التى تكاد تمزِّق أذنيها ، وتخترق عقلها ومخها ..

وبكل ذعرها ، صرخت تستنجد بزوجها (نور) ..

« أنا هنا يا حبيبتى .. اطمئنى .. »

تسلَّل الصوت إلى أذنيها فى نعومة ، على الرغم من الدوى ، فانتفض جسدها كله فى عنف ، وهتفت ، وقد تحرَّر ذراعها وصدرها أخيرًا :

- (نور) .. (نور) .. أين أنت ؟!

أجابها صوته الرقيق الحنون :

- هنا يا (سلوى) .

شعرت فجأة بذراعيه حول كتفيها ، وبأنفاسه الحارة على وجهها ، ففتحت عينيها ، وتطلَّعت إليه باتساعهما ، وهو يبتسم فى حنان ، متمتمًا :

- حمدًا لله على سلامتك .

مع آخر حروف كلماته ، برز إلى جواره وجه (نشوى) بعينين مغرورقتين بالدموع ، وهى تهتف :

- أماه ! أأنت بخير ؟! حمدًا لله .. حمدًا لله ..

تلفَّتت (سلوى) حولها فى هلع ، واصطدمت عيناها بعينى العسكريين ، اللذين رافقا (صلب) ، وقد شفَّت كل خلجة من خلجاتهما عن الارتياع والذعر ، فهتفت :

- رباه ! أين نحن يا (نور) ؟!

أجابها ، بصوت سيطر تمامًا على نبراته :

- إننا داخل المدرَّعة (صلب) .

اعتدلت هاتفة :

- من الواضح أننى قد فقدت الوعى لفترة ما ، ولكن هذا لا يمنعنى من سؤال تال : وأين المدرّعة (صلب) ؟! الثبات ودرجة الميل الحادة ، يؤكدان أننا لا نستقر على رمال الصحراء .. أليس كذلك ؟!

تبادل (نور) و(نشوى) نظرة صامتة ، قبل أن يقول هو :

- كلنا فقدنا الوعى لبعض الوقت ، فقد واجهنا تلك العاصفة الرهيبة ، التي اقتلعت كل شيء من مكانه ، وسحقت الرجال سحقًا فى لحظات ، ولولا وجودنا داخل (صلب) ، لما اختلف مصيرنا عن مصيرهم .

امتقع وجهها ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! يا له من مصير بشع ! يا إلهى !

ثم اتسعت عيناها فى ارتياع ، وهى تستطرد مذعورة :

- وما مصيرنا نحن ؟! ما مصيرنا نحن يا (نور) ؟!

عضّ شفته السفلى ، دون أن يجيب ، فى حين سالت الدموع من عينى (نشوى) ، وهى تقول فى مرارة :

- العاصفة لم تنجح فى اقتلاعنا .

كان من الواضح أن العبارة غير مكتملة ، لذا فقد اعتدلت (سلوى) أكثر ، وهى تسأل :

- ثم ؟!

صمتت (نشوى) ، وتبادلت نظرة أخرى مع والدها ، الذى قال فى بطء :

- لقد ابتلعتنا الرمال .

هتفت (سلوى) :

- ماذا ؟!

أجابها بإيضاح أكثر :

- رمال العاصفة لم تنجح فى اقتلاع المدرّعة (صلب) ، لذا فقد تباعدت من تحتها ، وابتلعتها فى أعماق الرمال .

هتفت (سلوى) مذعورة :

- أتعنى أننا الآن تحت رمال الصحراء ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وتابعت (نشوى) بكل مرارة وأسى :

- وعلى عمق خمسة عشر مترًا ، من سطح الأرض .. على الأقل .

أطلقت (سلوى) شهقة رعب ، فى حين غمغم أحد الجنديين :

- إنها نهايتنا .. لقد دفنتنا العاصفة أحياء .. سنموت هنا ، فى قبر من الصلب .. سنموت .

ثم صرخ بكل قوته :

- سنموت .

قالها ، وهو يرفع فوهة مدفعه ، ويده تثب إلى الزناد ، فصرخت (نشوى) :

- ماذا تفعل أيها المجنون ؟!

وقبل حتى أن تكتمل صرختها ، كان (نور) قد تحرك ..

وانقضَّ ..

لم يكن فراغ المدرَّعة (صلب) يمنحه مساحة كافية للحركة ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا تجاوز (سلوى) باندفاعة قوية ، وقبض على معصم الجندى ، ليمنع سبَّابته من اعتصار الزناد ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها قبضته الأخرى ، لتلكم الرجل فى فكه لكمة قوية ..

ولكن الجندى لم يترك مدفعه ..

ولم يفقد وعيه ..

لقد واصل الصراخ فى هيستيريا :

- دعنى أفعل .. دعنى أنهى حياتى الآن بدلاً من أن يقتلنى الجوع ونقص الهواء .. دعنى أفعلها بالله عليك .

أمسك (نور) عنقه فى قوة ، وهو يصرخ فى وجهه :

- إياك أيها الأحمق .. إياك أن تفعلها ، فتموت كافرًا ، وتذوق عذاب الجحيم إلى أبد الآبدين .. هل أعماك الخوف وأفقدك عقلك إلى هذا الحد ؟! كيف تيئس وتقنط من رحمة الله (عزَّ وجلَّ) يا رجل ؟! إننا ما زلنا على قيد الحياة ، ولعل هذا لحكمة نجهلها .. هل تخشى أن

تتعذّب ليوم أو يومين ؟! ماذا إذن عن عذاب بلا نهاية ؟! ألم تتعلم أبدًا تلك الحكمة ، التى تقول : « احرص على الموت قبل أن يأتى يوم تتمنى فيه الموت فلا تجده » ؟! هل أدركت مغزاها الحقيقى ؟! احتمل يا رجل .. تجلّد .. قاتل حتى آخر نفس يتردّد فى صدرك ، ولا تستسلم أبدًا .. هل فهمت ؟!

أجابه الجندى الآخر فى حزم :

- هذه هى روح الجندية الحقّة .

ثم شدّ قامته ، وارتفعت يده بالتحية العسكرية فى حزم ، وهو يقول :

- الجندى (إسحق) ، من القوات الخاصة ، رهن إشارتك يا سيادة المقدّم .

تصبّب عرق غزير على وجه الجندى الآخر ، وهو ينقل بصره بينهما ، وبين وجهى (سلوى) و(نشوى) ، اللتين تطلّعتا إليه فى قلق ، ثم لم يلبث أن اعتدل فى مقعده ، وهزّ رأسه فى قوة ، مغمغمًا :

- كم كنت غبيًا .

ثم رفع عينيه إلى (نور) ، وهو يقول فى حزم :

- اعتبرنا جيشك الصغير يا سيادة المقدّم .. أنا

الجندى (عبد المنعم) ، من القوات الخاصة .. أنا وزميلى (اسحق) سننفذ كل ما تأمرنا به .. أيًا كان .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- عظيم .

وهنا قالت (سلوى) فى حزم :

- ألا ينبغى أن نعرف أولاً ما موقفنا بالضبط ؟!

أشارت (نشوى) إلى الأجهزة الإليكترونية داخل المدرعة ، قائلة :

- لقد راجعت الأجهزة .. كل شىء مازال يعمل بكفاءة ، و ...

قاطعها (نور) فى حزم :

- كلاّ .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وتساءلت (سلوى) فى حيرة قلقة :

- ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أجابها فى حزم صارم :

- أعنى أنه لن يمكننا استخدام أى جهاز إليكترونى هنا .

قالت (نشوى) فى دهشة :

ـ ولكنها ما زالت تعمل بكفاءة يا أبى .

أشار بسبّابته ، قائلاً :

ـ هذا هو السبب بالتحديد .

تفجَّرت دهشـة أكبـر فى وجـوههم ، وتسـاءلت (سلوى) :

ـ ألديك ما لم تخبرنا به يا (نور) ؟!

أجابها (نور) حاسمًا :

ـ بالتأكيد .

ثم واجه الجميع ، متابعًا :

ـ فلأوّل مرة أشعر أننا فى موقف ، يناسب (أكـرم) بالتحديد ، بأكثر مما يناسب أيًّا منا ، ربما لأن التكنولوجيا بالتحديد هى سبب ما نعانيه .

هتفت (نشوى) :

ـ ما زلت أجهل ما تعنيه .

اعتدل ، قائلاً :

ـ سأخبرك .. سأخبركم جميعًا .

تطلَّعوا إليه بكل اهتمامهم وانتباههم ، و ...

وأخذ هو يشرح نظريته ..

بمنتهى الدقة ..

وكانت نظرية عجيبة ..

ومخيفة ..

بحق ..

* * *

« تحت الرمال »

هتف (أكرم) بالكلمـة فى هلـع ، فمطَّ (كونـار) شفتيه ، وقال :

ـ مصير مناسب للغاية .

صاح (أكرم) فى غضب ، وهو يندفع نحوه :

ـ أيها الوغد .

استدار إليـه (كونار) فى سرعـة ، ورفـع يده فـى مواجهته ، وهو يصرخ فى غضب :

- اخرس أيها البشرى .

كان (أكرم) على بعد ثلاثة أمتار منه ، عندما شعر بشىء بارد كالثلج ، يرتطم بصدره بمنتهى العنف ، فيقتلعه من مكانه ، ويلقى به إلى الخلف فى قوة ، ليسقط أرضًا ، و(كونار) يقول فى صرامة غاضبة :

- إياك أن تحاول فعلها ثانية ، وإلا سحقتك سحقًا فى المرة القادمة .

سعل (أكرم) من فرط الألم ، وهو يهتف :

- ألنت بهذه الحقارة فى عالمك ، أم أنها موهبة مكتسبة فى عالمنا فحسب ؟!

شدَّ (كونار) قامته ، وهو يقول فى غلظة :

- لن يمكنك قط أن تبلغ فى عالمك ، تلك المكانة التى بلغتها أنا فى عالمى .

سعل (أكرم) مرة أخرى ، وهو يقول فى سخرية :

- حقًا ؟!

تألقت عينا (كونار) ، وبدتا أشبه بكتلة لهب ، وهو يقول بكل الصرامة :

- نعم .. حقًا ؟!

ومع تألُّق عينيه ، شعر (أكرم) بخنجرين حادين باردين يخترقان عينيه ..

ورأسه ..

ومخه ..

و ...

« القائد (كونار) فى خدمتك أيها الإمبراطور .. »

اعتدل الإمبراطور الكبير ، وتألقت عيناه المخيفتان ، وهو يقول :

- حان الوقت يا (كونار) .

شدَّ (كونار) قامته ، قائلاً :

- أنا رهن إشارتك يا مولاى الإمبراطور .

تراجع الإمبراطور فى عرشه الهائل ، وهو يقول بصوته المخيف :

- إننا ننتظر هذه اللحظة منذ قرون طويلة يا (كونار) .. أجدادنا العظام فشلوا فى اقتناص اللحظة الماضية ، منذ مليون عام من أعوامنا ، وعلينا نحن أن نتفادى ذلك الخطأ ، الذى أفسد غزوتهم الأولى .

سأله (كونار) فى حزم :

- بِمَ تأمرنى يا مولاى .

رفع الإمبراطور يده ، قائلاً :

- لابد أن نبذل قصارى جهدنا هذه المرة ، حتى لانفقد لحظة التماس العظمى .. لن نسمح بأى خطأ هذه المرة يا (كونار) .. هل تفهم ؟ أى خطأ .

كررَّ (كونار) فى حزم أكثر :

- أنا رهن إشارتك يا مولاى .

ولكن الإمبراطور تابع ، وكأنه لم يسمعه :

- أشياء كثيرة تغيرَّت فى عالمنا ، خلال المليون عام الأخيرة ، على الرغم من الانهيار العظيم ، الذى كاد يعصف بحضارتنا كلها ، منذ ألفى عام ، ولقد ابتكر علماؤنا وسيلة جديدة ، لإرسال الأحياء إلى العالم الأرضى ، دون انتظار لحظة التماس العظمى .

تألقت عينا (كونار) ، وهو يهتف :

- حقًا ؟!

هزَّ الإمبراطور رأسه ، قائلاً :

- المشكلة أن هذه الوسيلة محدودة للغاية ، ولا يمكنها أن تنقل سوى ثلاثة منا فحسب ، مستهلكة فى هذا طاقة هائلة ، سيؤدى استنزافها إلى حرماننا من كل طاقتنا ، ليومين كاملين .

غمغم (كونار) فى انزعاج :

- إلى هذا الحد ؟!

أومأ الإمبراطور برأسه إيجابًا ، وقال :

- يمكنك أن تقول إنه ليس بمقدورنا استخدام وسيلة كهذه سوى مرة واحدة فحسب ، نرسل خلالها ثلاثة من أفضل وأبرع مقاتلينا ، لتهيئة المناخ الأرضى لاستقبالنا ، عندما تحين لحظة التماس العظمى .

أدرك (كونار) ما يرمى إليه الإمبراطور فورًا ، فقال فى حزم :

- القائد (كونار) رهن إشارتك يامولاى .

مطَّ الإمبراطور شفتيه ، وكأنما يتوقَّع هذا ، وقال :

- التماس سيستمر لثمان وأربعين ساعة أرضية فحسب ، ولو عجزنا عن نقل كل قواتنا ، خلال تلك

الساعات ، سنفقد فرصة أخرى لغزو ذلك العالم ، ولن يمكننا تعويض هذا قبل مليون عام أخرى .. هل تفهم خطورة الموقف ؟!

شدَّ (كونار) قامته ، قائلاً فى حزم :

- بالتأكيد يا مولاى .. بالتأكيد .

مال الإمبراطور على عرشه ، وواجه قائده بنظرة صارمة ، قائلاً :

- إنها مهمتك يا (كونار) .. ستصحب معك حارسىَّ الخاصين (سينور) و(بولار) ، وعلى ثلاثتكم تأمين العبور ، حتى لو كان الثمن هو حياتكم نفسها .. هل تفهم ؟!

تألقت عينا (كونار) ، وهو يجيب ، بكل الحزم والحسم :

- بالتأكيد يا مولاى .. بالتأكيد .

« رباه ! »

هتف (أكرم) بالكلمة ، وكل ذرة من كيانه ترتجف ، وذكريات (كونار) تنتزع من رأسه في عنف ، وهذا الأخير يبتسم فى شراسة مخيفة ، قائلا :

- هل أدركت الآن من أنا أيها البشرى ؟!

حدَّق (أكرم) فى وجهه ، هاتفًا :

- إنه غزو جديد .. يا إلهى !! يا إلهى !

ثم نهض واقفًا ، على الرغم من معصميه المقيدين خلف ظهره ، وهو يهتف فى حدة :

- وماذا فعلت بالكل ، من أجل هذا الغزو الحقير ؟! ماذا فعلت بالآخرين ؟!

ابتسم (كونار) فى سخرية ، وهو يقول :

- أتقصد كبار المسئولين فى دولتك ؟! رئيس الجمهورية ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ووزير الدفاع ، ومدير مكتبه الغبى ؟!

ثم هزَّ رأسه ، متابعًا :

- لا تقلق .. ستعرف الجواب قريبًا .. قريبًا جدًّا .

قالها ، ورفع يده إلى وجهه ، مستطردًا :

- قريبًا جدًّا ستصبح بين أصابعى .. تمامًا مثلهم .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ بين أصابعك ؟! ماذا تعنى بعبارتك هذه ؟!

تألقت عينا (كونـار) أكثر ، ثم تفجَّرت من حلقه ضحكة عالية ، قوية ، مجلجلة ، قبل أن يرفع يده إلى (أكرم) ، قائلاً بكل سخرية وشماتة الدنيا :

ـ ما دمت متعجلاً ، فستعرف الآن .

ومع آخر حروف كلماته ، تـألَّقت أصابعه ببريق أزرق عجيب ، ثم انطلق منها شعاع قوى ..

شعاع أحاط بـ (أكرم) ، الذى صرخ من الألم :

ـ ماذا تفعل بى أيها الوغد ؟! ماذا تفعل بى ؟!

كانت هناك قوة هائلة تضغط كيانه كله ، وتعتصره اعتصارًا ، والشعاع المحيط به ينكمش ، وينكمش .. وينكمش ..

ثم تلاشى كل ما حوله بغتة ، وانطلقت من حلقه صرخة هائلة ..

صرخة اختفى بعدها تمامًا ، من حجرة الرصد ..
اختفى دون أن يترك خلفه أثرًا ..
أدنى أثر .

* * *

٥ ـ بين أصابعه ..

« كل الدراسات تؤكد أن هذا الجسم يرقد هنا ، تحت رمال الصحراء ، منذ ملايين السنين .. »

نطق (نور) العبارة فى هدوء ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع ، الذين تطلَّعوا إليه فى اهتمام بالغ ، فتابع :

ـ وعلى الرغم من وجوده ، طوال هذه المدة الطويلة ، إلا أنه لم ينشط ، أو يبدأ فى تحريك الأمور ، على هذا النحو المخيف العنيف ، إلا عند استخدام جهاز المسبار الموجى (م م ـ ١) لأوَّل مرة .

سألته (نشوى) فى اهتمام :

ـ وما الذى فعله هذا بالضبط ؟!

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ فى البداية تصوَّرت أن الموجات ، التى أطلقها (م م ـ ١) ، هى التى أيقظت ذلك الشىء من سباته ، وجعلته يطلق تلك العاصفة الرهيبة ، للدفاع عن كيانه .

اعتدلت (سلوى) ، هاتفة :

- العاصفة ؟! هل تعتقد أنه المسئول عن العاصفة ؟!

التفت إليها (نور) ، متسائلاً :

- ألديك نظرية أخرى ؟!

أجابته فى توتر :

- لقد رأيت مثلنا تلك العمالقة الرملية المخيفة ، وهى تبرز من قلب الصحراء ، لتهاجم فرق البحث والجنود ، وتسحقهم سحقًا .

سألها فى هدوء :

- وما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

ارتبكت ، وكأنما باغتها السؤال ، فهزَّت كتفها ، ولوَّحت بيدها ، قائلة :

- إنها مخلوقات من الرمال مثلاً .

مال نحوها ، متسائلاً :

- ومن أطلقها ؟

غمغمت فى حذر :

- ذلك الجسم المدفون منذ ..

هتفت (نشوى) مكملة :

- منذ ملايين السنين .

ثم التفتت إلى والدها ، متابعة :

- ألا يدهشك أن يمتلك شىء قديم كهذا ، كل هذه التكنولوجيا ، على الرغم من أنه ينتمى إلى مخلوقات من الرمال ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

- لا أحد يدرى ما الذى كانت عليه الأرض فعليًا ، منذ ملايين السنين ، فربما شهد ذلك الماضى السحيق حضارات تفوق حضارتنا ألف مرة ، أما موضوع مخلوقات الرمال هذا ، فهو يحتاج إلى وقفة .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

- لماذا ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يهزَّ كتفيه مرة أخرى ، مجيبًا :

- لأننى لست أومن بأنها مخلوقات رملية بالفعل .

سألته بدهشة :

- بعد ما رأيناه بأنفسنا ، على شاشة الفحص ؟!

تنهَّد ، قائلاً :

- أعتقد أنه من الأفضل أن نترك هذا لحينه .

تراجعت ، قائلة :

- عظيم .. هذا يجعل نظريتك بسيطة للغاية إذن .. جسم من حضارة سحيقة ، اختفى تحت الرمال منذ ملايين السنين ، حتى أشعلته موجات إليكترونية قوية ، فانطلق يدافع عن كيانه بشراسة .. هذا يفسر أمر العاصفة ، ولكن ماذا عن نبضات القلب البشرية ، و ...

قاطعها فى هدوء :

- معذرة يا زوجتى العزيزة ، ولكن نظريتى لم تكتمل بعد .

انعقدت حواجب الجنديين ، وهما يتبادلان نظرة متوترة ، فى حين تساءلت (نشوى) فى حذر :

- ما الذى ينقصها ؟!

أجاب فى حزم :

- أن الموجات التى نطلقها لم توقظ ذلك الشىء ، ولكنها دفعته إلى العمل فحسب .

سألته (سلوى) فى حيرة :

- وما الفارق ؟!

أشار إلى أجهزة المدرَّعة ، قائلاً :

- الفارق هو الذى جعلنى أمنعكم من تشغيل أجهزة المدرَّعة الآن .. الفارق هو أن ذلك الشىء ، ولسبب ما ، معدّ بحيث يهاجم أية صورة من صور التكنولوجيا تعترض طريقه ، أو تهدِّد وجوده بالخطر ، فى أية لحظة .

سألته (نشوى) :

- ولماذا لم ينطلق ، طوال ملايين السنين ؟!

أجابها فى سرعة :

- لأن المنطقة ظلَّت بكرًا ، طوال تاريخنا المكتوب

على الأقل ، فلم تقترب منها يد البناء أو التعمير ، أو حتى التنقيب ، ولم تكن ضمن المسارات ، التى شملتها الحرب العالمية الثانية .. باختصار ، لم يكن هناك مبررٌ واحد لعمل الجهاز ، طوال كل هذه الحقبات من الزمن .

هتفت (سلوى) :

ـ لماذا يوجد فى هذه المنطقة بالذات إذن ، ما دامت لا قيمة لها إلى هذا الحد ؟!

أشار بسبَّابته ووسطاه ، قائلاً :

ـ هناك تفسيران لهذا .. أولهما أن تلك المنطقة كانت مهمة للغاية ، فى الحقبة التى انزرع فيها ذلك الجسم هنا ، أو أنه هناك سبب نجهله ، يجعل لهذا الموقع بالتحديد أهمية قصوى .

سألته (نشوى) :

ـ سبب مثل ماذا ؟!

أشار بيده إشارة مبهمة ، وهو يقول :

ـ ربما كانت منطقة هبوط فضائية ، أو ...

قاطعه الجندى (إسحق) فى هذه اللحظة ، بلهجة تشفَ عن العصبية ونفاد الصبر :

ـ معذرة أيها القائد ، ولكن هل يبدو الوقت والمكان مناسبين ، فى ظل هذه الظروف ، لمناقشة وتفنيد نظرية كهذه ؟!

التفت إليه (نور) لحظة ، قبل أن يقول بحزم :

ـ كلاَّ بالتأكيد .

ثم عاد يشدّ قامته ، قائلاً :

ـ ينبغى أولاً أن نراجع الموقف كله ، فطبقًا للمعطيات الأوَّلية المتاحة ، نحن مدفونون على عمق كبير ، وسط رمال الصحراء ، ولكن طاقة المدرَّعة ما زالت تعمل ، فالأضواء متألِّقة ، ونظام الأكسجين الرئيسى مستمر ، ولكن دون تشغيل الأجهزة ، سنظل نجهل تمامًا باقى المعطيات .

قال الجندى (عبد المنعم) :

ـ المهم هو ما الذى يمكن أن نفعله ، لنخرج من هنا ، أو ...

قاطعته (سلوى) فى حزم عصبى :

ـ لا شىء .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يدير بصره إليها ، فأكملت :

- دون أجهزة حديثة ، ليس لدينا أمل فى الخروج من هنا .

وارتجفت الكلمات على شفتيها ، وهى تضيف بعصبية زائدة :

- أدنى أمل .

وكانت العبارة الأخيرة تكفى ، لتحطيم معنويات الكل ..

تمامًا ..

* * *

« ما الذى يمكننا أن نفعله إزاء هذا ؟! »

هتف (رمزى) بالكلمة ، فى توتر شديد ، فتراجع الدكتور (جلال) فى مقعده ، ورفع يده إلى ذقنه فى صمت ، جعل (رمزى) يواصل فى عصبية :

- لا يمكننا أن نقف ساكنين ، وبعضهم يسعى لاختراق عالمنا ، لسبب لا يعلمه إلا الله (عزَّ وجلَّ) .

قلب الدكتور (جلال) كفيه ، قائلاً فى توتر :

- المشكلة أن كل أصحاب القرار غائبون ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حزم :

- خطأ يا دكتور (جلال) .. المشكلة الحقيقية هى أن كل أصحاب القرار فى خطر ، علينا أن نسعى لإنقاذهم منه .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وهو يفكِّر فى هذا الاحتمال الجديد المخيف ، قبل أن يرفع عينيه إلى (رمزى) ، قائلاً :

- ولكنه قرار صعب للغاية ، ونتائجه غاية فى الخطورة .

قال (رمزى) بحزم أكبر :

- نتائج الصمت أكثر خطورة يا دكتور (جلال) .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) أكثر ، وهو يغمغم فى عصبية :

- أنت لا تستطيع تقدير عواقب الأمر .. لو أننا أخطأنا الفهم ، فسيتم تفسير كل ما سنفعله باعتباره محاولة انقلاب .. خيانة عظمى .

ثم رفع عينيه مرة أخرى إلى (رمزى)، متابعًا فى حدة :

- هل تعرف عقوبة الخيانة العظمى ؟!

أجابه (رمزى) بكلمة واحدة حازمة :

- الموت .

ثم مال نحو الشاشة ، مستطردًا :

- ولكن ما عقوبة تجاهل محاولة غزو خارجى ، لكوكب الأرض كله ؟!

اتسعت عينا الدكتور (جلال) فى ارتياع ، وهو يحدق فى الشاشة ، فتابع (رمزى) بصرامة ، بدت أشبه بصرامة (نور) :

- ربما كان القرار خطيرًا حاسمًا ، وخيم العواقب يا دكتور (جلال) ، ولكنها واحدة من اللحظات النادرة ، التى لابد أن يتخذ فيها المرء قرارًا حاسمًا ، وإلا خسر كل شىء .

تردد الدكتور (جلال) أكثر ، وراح يدرس الأمر فى ذهنه مرات ومرات ، فهتف (رمزى) :

- هيا يا دكتور (جلال) .. دعنا لا نضيع لحظة واحدة .. لقد حاولنا معًا الاتصال بالرئيس ، والقائد الأعلى ، وحتى وزير الدفاع ، بالإضافة إلى (نور) ، و(سلوى) ، و(نشوى) ، و(أكرم) ، و(مشيرة) .. والكل لا يستجيب ، وفى الوقت نفسه ترصد الأجهزة ذبذبة قادمة من عالم آخر ، على نحو يوحى بأنها محاولة لاختراق عالمنا .. ما الذى يحتاج إليه الأمر أكثر من هذا ، لندرك أننا أمام محاولة تخريب داخلية ، تمهيدًا لغزو خارجى ؟!

كان الدكتور (جلال) يدرك جيدًا ، أن حديث (رمزى) منطقى تمامًا ، إلا أن طبيعته ، كرجل علم صرف ، لم تكن تؤهله لقرار قوى حاسم كهذا ..

قرار قد يتوقف عليه مصير دولة بأكملها ..

بل عالم كامل ..

وكان عليه أن يبحث عن حل لهذا ..

حل لذلك العجز فى شخصيته ..

وحل لموقف عالمه المعرض للخطر ..

ولقد طال تفكيره ..

وطال ..

وطال ..

« فيم تفكرٌ بالضبط يا رجل ؟! »

هتف (رمزى) بالعبارة فى توتر ، فرفع الدكتور (جلال) عينيه بحركة حادة ، مجيبًا فى انفعال شديد :

ـ فى الرائد (أيمن) .

تراجع (رمزى) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ الرائد (أيمن) ؟! ألم يلق مصرعه فى عملية سابقة ؟!

زفر الدكتور (جلال) فى عصبيه قائلاً :

ـ تقريبًا .

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يقول :

ـ تقريبًا ؟! ، ما معنى تقريبًا هذه ؟!

تردد الدكتور (جلال) لحظة ، ثم مال نحو الشاشة ، قائلاً :

ـ الرائد (أيمن) يعتبر سلاحًا سريًا فى الوقت الحالى .

ردَّد (رمزى) فى دهشة حذرة :

ـ سلاحًا سريًا ؟!

زفر الدكتور (جلال) مرة أخرى ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول فى حزم :

ـ نعم السلاح السرى الوحيد ، الذى يمكن أن يفيدنا ، فى مثل هذا الموقف العصيب .

تراجع (رمزى) ، مغمغمًا :

ـ لست أفهم .

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، مغمغمًا بدوره :

ـ إنه أمر عسير الفهم بالفعل .

وعاد يرفع عينيه إلى (رمزى) ، قائلاً :

ـ ولكنك تستطيع استيعابه .

قالها وراح يشرح الأمر لـ (رمزى) ..

وكان الأمر بالفعل عسير الفهم ..

إلى أقصى حد ..

ولكن (رمزى) استطاع استيعابه ..

وأدرك أنه ربما كان حل المشكلة بالفعل ..

الحل الوحيد ..

★ ★ ★

ضحكة عالية مجلجلة ، تردّدت فى المكان كله ..

ونيران اشتعلت فى كل مكان حول (أكرم) ..

نيران هائلة رهيبة ، لفحه لهيبها ، فتراجع صارخًا :

ـ أيها الوغد .. أيها الوغد ..

تردّدت ضحكة (كونار) عالية ساخرة مرة أخرى ، وامتزجت بأصوات صراخ رهيبة مخيفة ..

صراخ آلاف المعذبين ..
صراخ من أعماق الجحيم ..

بل من أعمق أعماقه ..

ووسط اللهب والنيران ، برز وجه (كونار) ..

برز ضخمًا رهيبًا ، هائل الحجم ، تبدو أنيابه فى طول الأشجار الضخمة ، و ..

وانتفض (أكرم) فى عنف ..

ومع انتفاضته ، استيقظ عقله دفعة واحدة ..

لم يكن نائمًا أو فاقد الوعى ، بل كان واقفًا على قدميه ، وسط فراغ ضبابى أخضر .. أو بمعنى أدق ، كان يسبح فى ذلك الفراغ ..

وبكل التوتر ، تمتم :

ـ أين أنا ؟!

تردَّد السؤال داخل كيانه ، حتى لقد خُيِّل إليه أنه يسمع صداه فى أعماقه ، فاتسعت عيناه فى ارتياع ، وهتف :

ـ رباه ! ماذا يحدث ؟! ما الذى فعله بى ذلك الوغد ؟!

« قلّصك .. » .

استدار فى حدة إلى مصدر الصوت ، وانعقد حاجباه بشدة ، وهو يحدّق فى الضباب الأخضر المتكاثف أمامه ، والذى راح يتكثّف ويهتز ..

ثم برزت منه فجأة تلك الأجساد ..

وتراجع (أكرم) بحركة حادة عنيفة ..



استدار فى حدة إلى مصدر الصوت ، وانعقد حاجباه بشدة ، وهو يحدِّق فى الضباب الأخضر المتكاثف أمامه ، والذى راح يتكثَّف ويهتز ..

ثم اتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يصرخ :

ـ رباه ! سيادة الرئيس ؟! وزير الدفاع ؟! القائد الأعلى .. ماذا تفعلون هنا ؟!

أجابه الرئيس فى مرارة :

ـ إننا أسرى .

هتف مستنكرًا :

ـ أسرى ؟! كيف ؟! وأين ؟!

هزَّ الوزير رأسه ، قائلاً :

ـ لسنا ندرى أين ، ولكننا نعلم كيف ؟!

سأله (أكرم) فى لهفة :

ـ كيف إذن ؟!

برز مدير مكتب وزير الدفاع من وسط الضباب ، وهو يقول بصوت مرتجف مذعور :

ـ لقد حوَّلنا إلى جراثيم .

سأله (أكرم) مستنكرًا :

ـ حوَّلنا إلى ماذا ؟!

أجابه الرئيس فى مرارة :

ـ إلى أقزام يا (أكرم) .. إلى كائنات ضئيلة للغاية ، حتى إن الفأر يبدو بالنسبة لنا أشبه بالديناصور .

نقل (أكرم) بصره بين وجوههم فى دهشة مستنكرة ، قبل أن يهتف :

ـ أى قول أحمق هذا ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى أدرك أن عبارته وقحة للغاية ، وخاصة فى حضرة رجال مثلهم ، فتراجع فى سرعة مستدركًا :

ـ أعنى أنه أمر يستحيل تصديقه .

اتسعت عينا مدير مكتب الوزير فى رعب ، وهو يرفع عينيه إلى ما خلف رأس (أكرم) قائلاً بصوت مذعور ، ارتجف كل حرف منه ، كريشة فى مهب الريح :

ـ هل يكفيك هذا الدليل ؟!

استدار (أكرم) فى حدة ، وارتفعت عيناه إلى حيث ينظر مدير مكتب الوزير ..

ثم ارتدّ فى عنف ..

فأمامه مباشرة ، وخلف الضباب الأخضر ، رأى عينى (كونار) الملتهبتين ، تتطلعان إليه بكل سخرية وشماتة الكون ..

ومن موقع العينين ، انطلقت ضحكة رهيبة ..

ضحكة ساخرة ، ظافرة ، شامتة ، لزجة ..

ثم ابتعدت العينان ..

واختفتا ..

ومع اختفائهما ، أدرك (أكرم) أن (كونار) قد ألقى بهم فى جحيم من نوع خاص ..

جحيم بلا رحمة ..

وبلا أمل ..

* * *

« هل تعتقد أننا سنجدهم أحياء أيها القائد ؟! »

ألقى (بولار) سؤاله على (كونار) ، الذى عقد كفيه خلف ظهره ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يجيب :

ـ تصميمات مدرَّعتهم (صلب) تؤكِّد أن لديهم ما يكفى للحياة لمدة ساعتين فحسب ، ولقد مضت ساعة كاملة ، منذ ابتلعتهم الرمال ، ولهذا أصدرت أوامرى بألا يبدأ الحفر ، قبل مرور ساعة أخرى .

وانطلقت منه ضحكة قصيرة ، قبل أن يستطرد :

ـ وبهذا نعثر على الأبطال ، الذين ينبهر بهم عالمهم كله ، ولكن بعد أن أصبحوا جثثًا هامدة .

تساءل (بولار) فى حذر :

ـ وماذا لو .. ؟!

قاطعه فى صرامة :

ـ لا يوجد لو .. إننى أدرس كل شىء بمنتهى الدقة .

ثم التفت إليه ، متابعًا فى صرامة خشنة :

ـ عندما يبدأ الحفر ، بعد ساعة من الآن ، وطبقًا للعمق الذى حدَّدته أقمار الكشف ، سيتم الوصول إلى المدرَّعة (صلب) بعد ساعتين أخريين على الأقل ، وهذا سيعنى أن أبطال الأرض سيقضون ساعتين كاملتين ، فى أعماق رمال الصحراء ، دون ذرة هواء واحدة .

هتف (بولار) مبهورًا :

ـ عظيم .

ثم عاد يتساءل فى قلق :

ـ ولكن لماذا الحفر نفسه ؟!

سأله (كونار) بنفس الصرامة :

ـ ألديك حل آ خر ؟!

أجابه فى تردُّد :

ـ يمكننا توفير الوقت ، لو استخدمنا وسيلة أكثر تقدُّمًا ، و ..

قاطعه فى صرامة :

ـ غبىّ .

انعقد حاجبا (بولار) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لو أننى غبىّ ، كما تصمنى دائمًا ، لما كنت حارسًا خاصًا وشخصيًا للإمبراطور .

قال (كونار) فى سخرية :

ـ الإمبراطور يحيط نفسه بالأقوياء ، وليس بالعباقرة .

قال (بولار) فى حدة :

ـ ترى هل ينطبق هذا على الجميع ؟!

استدار إليه (كونار) ، بنظرة نارية غاضبة ، وقد أدرك ما يرمى إليه ، فتراجع (بولار) فى توتر ، قائلاً :

ـ كنت أعنى أن ..

قاطعه (كونار) مرة أخرى ، وهو يقول بصرامة غاضبة :

ـ ألم تدرك بعد أن التكنولوجيا المتقدّمة ، هى التى أشعلت ذلك الجهاز البغيض ؟!

اتسعت عينا (بولار) ، وهو يهتف :

ـ حقًا ؟!

أجابه (كونار) فى سخرية صارمة :

ـ حقًا ؟! هل أدهشك هذا أيها الحارس الإمبراطورى العظيم ؟! وكنت غاضبًا ، لأننى وصمتك بالغباء ؟!

ثم مال نحوه ، متابعًا فى سخرية أكثر ، وصرامة أعنف :

ـ هذه لعبتهم ، التى أدركتها مع المرة الثالثة يا هذا .. بل ولقد أرسلت (نور) وعائلته ، فى ضربة مزدوجة ، نفذتها بمهارة وعبقرية ، فقد كانت مواجهتهم لـ (ميجالون) ستأتى حتمًا بنتيجة إيجابية ، فإما أن ينجحوا فى كشف نقاط ضعفها ، والسيطرة عليها ، قبل أن نبلغ لحظة التماس العظمى ، أو أنها ستنطلق فور تشغيلهم لجهاز (م م ـ ١) ، فتثبت نظريتى .. بالإضافة إلى أنه اختبار لفاعلية نظامها الأمنى وقوته ، فى مواجهة مدرَّعة ثقيلة قوية ، مثل (صلب) .

واعتدل فى زهو ظافر ، مستطردًا :

ـ ثم إن أفضل ما سيحدث ، فى كل الأحوال ، هو التخلُّص من (نور) وعائلته ، الذين أصبحوا رمزًا للتحرير ، ووسيلة لإذكاء نيران الحماس ، فى نفس كل أرضى ، منذ الاحتلال السابق(*) .

نطق عبارته الأخيرة ، وهو يتطلَّع ، عبر شاشة الرصد ، إلى أجهزة الحفر العملاقة ، التى تحتلّ مواقعها ، فى المنطقة (ص) ، فى انتظار أوامره لبدء الحفر ، وتألَّقت عيناه ، وهو يتابع فى سخرية :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

- ولكننا سنواجه تكنولوجيتهم ، وأساليبهم الأمنية المتقدّمة هذه ، بأسلوب غاية فى البساطة والمباشرة .. سنحفر الرمال ، حتى نصل إليهم ، ونوقف عمل الـ (ميجالون) .

سأله (بولار) فى حذر :

- هل تعتقد أن الأمر سيكون بهذه البساطة ؟!

هزّ (كونار) رأسه فى قوة ، قائلاً فى حزم :

- مطلقًا .. الأمر سيحتاج إلى منتهى البراعة والذكاء .

وعاد يشدّ قامته ، متابعًا فى ثقة بلغت حد الغرور :

- وهذا ما خُلقت من أجله .

أراد (بولار) أن يقول شيئًا ما ..

أراد هذا بشدة ..

ولكن بقايا حكمة ما فى أعماقه ، جعلته يلزم الصمت ، ويكتفى بعقد حاجبيه ، والإشاحة بوجهه ، فى حين اتجه (كونار) نحو جزء من الجدار ، والتقط كرة خضراء شفافة صغيرة ، ملتصقة به ، وتطلع إليها لحظة ، وهى بين أصابعه ، ثم أطلق ضحكة ساخرة شامتة أخرى ، قبل أن يلصقها مرة أخرى بالجدار ، قائلاً :

- تمتعوا بحياتكم أيها الجراثيم البشرية ، وسط جحيم (كونار) .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال ، وظهرت على شاشته صورة مدير المعامل المنتدب ، وهو يقول فى انفعال :

- سيادة الرئيس .. لن يمكنك أن تصدّق ما وجدناه ، عندما فحصنا ذرات الرمال التى أرسلتها .

استعاد (كونار) فى سرعة صوت ولهجة وملامح رئيس الجمهورية ، وهو يواجه شاشة الاتصال ، قائلاً :

- ما الذى وجدتموه بالضبط ؟!

أجابه الرجل بانفعال حقيقى :

- لن يمكنك أن تصدّق يا سيادة الرئيس ، لذا فسأنقل إليك صورة لذرة واحدة من الرمال ، تحت الميكروسكوب الأيونى الفائق التكبير ، لترى بنفسك .

ومع كلماته ، اختفت صورته من الشاشة ، وحلّت محلها صورة ذرة الرمال ، تحت الميكروسكوب الأيونى ، مكبَّرة ثلاثمائة ألف مرة ..

واتسعت عيون (كونار) و(بولار) عن آخرها ..

فما أبرزته صورة الميكروسكوب الأيونى الفائق كان أمرًا مذهلاً ..

بكل المقاييس العلمية ..

والعقلية ..

و..

والمنطقية .

★ ★ ★

٦ ـ ذرة من الرمال ..

تردَّد الدكتور (جلال) لحظة ، وهو يقف أمام ذلك القسم الخاص جدًّا ، فى مبنى الأبحاث العلمية وراح يدير الموقف كله فى ذهنه بقلق متوتر ، قبل أن يتمتم :

ـ هيا يا رجل .. لا تضيّع المزيد من الوقت .. احسم أمرك ، وقم بهذه الخطوة الحاسمة ، قبل أن تغرق إلى الأبد فى لجة من الندم .

نطقها ، وأطلق من أعمق أعماق صدره زفرة حارة ، قبل أن يضغط أزرار جهاز الأمن ، المثبت فى بوّابة القسم الخاص ، بتتابع شفرى خاص ، ثم يميل نحو دائرة زجاجية ، وهو يقول :

ـ الدكتور (جلال) .

التقط جهاز الفحص بصمة صوته ، وراجعها على البصمات المسجَّلة لديه ، لكل المسموح لهم بدخول ذلك القسم الخاص ، ثم انطلق شعاع رفيع ، من

الدائرة الزجاجية ، وراح يتفحص بصمة قزحيته ، قبل أن ينبعث من جهاز الأمن الدقيق صوت معدنى ، يقول :

ـ تم التحقُّق من الشخصية .. الدخول متاح .

ومع الصوت ، انزاحت ضلفتا الباب فى نعومة ، فعبرهما الدكتور (جلال) ، فى توتر شديد ، وتقدَّم نحو باب داخلى آخر ، فضغت أزرار رتاجه الإليكترونى ، وانتظر حتى سمع صوتًا يقول فى آلية :

ـ من القادم ؟!

أجابه بلهجة حملت كل توتره :

ـ الدكتور (جلال) .

مضت لحظة من السكون ، قبل أن ينزاح الباب الداخلى ، ويظهر خلفه الرائد (أيمن) الذى بدا جافًّا ، جامد الملامح ، وهو يقول :

ـ لقد انتهيت من اختباراتى على الفور .

ترك الدكتور (جلال) الباب يُغلق خلفه ، وهو يغمغم :

ـ عظيم .. ولكن كل هذه الاختبارات لا تكفى .

تطلَّع إليه الرائد (أيمن) بنظرة متسائلة ، فتابع ، وقد ارتفع صوته بعض الشىء ، واكتسب رنة حازمة :

ـ إنك تحتاج إلى اختبار حقيقى .

اعتدل الرائد (أيمن) فى وقفته ، وقال فى حسم :

ـ أنا مستعد تمامًا .

تطلَّع إليه الدكتور (جلال) بضع لحظات فى قلق ، قبل أن يسأله فى حذر واضح ، وهو يشير إلى مجموعة الأجهزة المتقدِّمة ، التى استقرَّت فى ركن القاعة الكبيرة :

ـ هل تعتقد أنك مؤهَّل للقيام بمهمة خاصة ؟!

أومأ الرائد (أيمن) برأسه ، قائلاً فى حزم :

ـ بالتأكيد .

زفر الدكتور (جلال) مرة أخرى ، وتحرَّك فى مكانه بعصبية ، قائلاً :

ـ الواقع أنها ليست بالمهمة السهلة أبدًا .. بل هى

مهمة معقَّدة للغاية ، وربما يتوقف عليها مصير (مصر) .. بل مصير الأرض كلها ، ولكن المؤكدً أنه سيتوقَّف عليها مصيرى حتمًا .

ثم عاد يلتفت إليه ، متابعًا فى توتر شديد :

ـ ومصيرك أيضًا .

لم يبد الشاب أى انفعال ، وهو يتطلَّع إليه فى صمت ، فتابع الرجل :

ـ هناك شكوك كبرى ، تحيط بمصير (نور) وفريقه ورئيس الجمهورية ، ووزير الدفاع .. ومهمتك أن تسعى لكشف ما يحدث بالضبط ، داخل وزارة الدفاع .. وهذا دون أن تحمل إذنًا بالدخول ، أو أية أوراق رسمية ، تحدِّد هويتك ، وهوية المكان الذى تنتمى إليه .

أجابه الشاب فى حزم :

ـ أنا ضابط فى المخابرات العلمية المصرية .

هزَّ الرجل رأسه ، قائلاً :

ـ ليس هذه المرة .. أعنى ليس بهذه الصفة .

وزفر مرة أخرى ، متابعًا فى عصبية :

ـ ستقوم بالمهمة كمصرى فحسب .

مرة أخرى ، أطلَّ التساؤل من عينى الشاب ، فتنهَّد الدكتور (جلال) قائلاً :

ـ أعتقد أنك بحاجة إلى مزيد من التفسير .. أليس كذلك ؟!

غمغم الشاب فى حذر :

ـ بالتأكيد .

أومأ الرجل برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ فليكن .. فى ظروف كهذه ، من حقك أن تعرف كل التفاصيل .

ثم راح يشرح الأمر كله للرائد (أيمن) ..

بكل العواقب ..

وكل التفاصيل ..

بلا استثناء ..

* * *

« مستحيل ! »

هتف (كونار) بالكلمة فى ذهول ، وهو يحدّق مع حارسه ، فى شاشة الكمبيوتر ، التى تنقل ما التقطه الميكروسكوب الأيونى لذرة الرمال ..

كان من المستحيل ، بعدما يراه أمامه ، أن يطلق عليها اسم ذرة ..

لقد بدت له أشبه بعالم كامل ..

عالم آلى ، بالغ الدقة ، معدّ للقيام بمهام لا محدودة ..

الحركة ..

والرصد ..

والتمويه ..

والبث ..

والاستقبال ..

مهام تحتاج إلى فرقة إليكترونية كاملة ..

على الأقل ..

وبكل ذهوله ، هتف :

ـ لقد سبقونا بأجيال من التطوّر

« من هؤلاء ؟! »

انتبه فجأة إلى أن جهاز الاتصال مفتوح على مركز البحث من الجانبين ، فقال فى خشونة :

ـ الذين صنعوا هذه التحفة الإليكترونية بالطبع أيها الغبى .

تراجع العالم فى دهشة مستنكرة ، عندما نقلت إليه أجهزة الاتصال عبارة (كونار) الفظة العنيفة ، وغمغم فى توتر :

ـ سيّدى الرئيس .. كنت أقصد أن ..

قاطعه (كونار) بنفس الخشونة :

ـ هل درستم الموقف جيّدًا ، فى ظلّ هذه المعطيات الجديدة ؟!

سأله الرجل فى حيرة :

ـ أية معطيات ؟!

صاح فى غضب :

- هـذه الرمال يا رجل .. مـن أدراك أن أطنـان الرمال ، فى المنطقة (ص) ، ليست كلها كذلك ؟!

أجابه الرجل ، فى توتر محنق :

- سنجرى فحوصنا يا سيادة الرئيس ، و ..

صاح (كونار) بغضب هادر :

- وماذا تنتظرون ؟! هيا استقلّوا حوّامة كبيرة مع أجهزتكم ، واذهبوا إلى هناك فورًا ..

هتف الرجل بدهشة عارمة :

- هناك ؟! ولكن هذا مستحيل يا سيادة الرئيس ؟!

صاح (كونار) :

- ولماذا مستحيل أيها العبقرى ؟!

أجابه الرجل فى عصبية متوترة :

- لأن الدقة البالغة لهذه الأجهزة ، الكامنة فـى ذرات الرمال ، تحتاج إلى الميكروسكوب الأيونى لفحصها ، ومن المستحيل أن نقوم بنقله إلى هنا .

صاح (كونار) فى ثورة :

- ابحثوا عن طريقة أخرى إذن .. الوقت يمضى بسرعة مخيفة ، وسيحين منتصف الليل ، قبل أن ..

قاطعه الرجل هذه المرة ، دون أن يدرى :

- منتصف الليل ؟! وما شأننا بمنتصف الليل يا سيادة الرئيس .

ارتسمت ابتسامة شامتة ساخرة ، على شفتى الحارس (بولار) ، فى حين انعقد حاجبا (كونار) فى غضب ، وهو يلعن نفسه ، على هفوة سخيفة كهذه ، إلا أنه قال فى غلظة :

- ليس هذا من شأنك يا رجل .. إنها أسرار دولة .

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

- آه .. معذرة يا سيادة الرئيس .. إننى ..

قاطعه (كونار) فى غلظة صارمة :

- ابحثوا عن وسيلة يا رجل .. الحفارات العملاقة ستبدأ عملها ، بعد أربع وخمسين دقيقة من الآن ، وسأغضب بشدة ، لو واجهتهم أية مفاجآت قاتلة ، والمسؤل سيدفع الثمن حتمًا .

ثم مال نحو الشاشة ، متابعًا فى شراسة :

ـ هل فهمت يا رجل ؟! سيدفع الثمن .

امتقع وجه الرجل فى رعب ، وهو يقول بصوت مرتجف :

ـ فهمت يا سيادة الرئيس .. فهمت .. سنبحث عن وسيلة أخرى بكل تأكيد .

قالها ، وأنهى الاتصال فورًا ، فالتفت (كونار) إلى (بولار) ، هاتفًا فى حنق :

ـ أغبياء !

أجابه (بولار) فى بطء :

ـ هذا أقصى ما لديهم .. لاتنس أنهم لم يبلغوا تكنولوجيتنا بعد .

صاح به (كونار) فى حدة :

ـ تكنولوجيا ؟! لا تتحدَّث عن التكنولوجيا يا هذا .

ثم أشار إلى جهاز الاتصال ، هاتفًا فى حنق :

ـ ألم تر تلك التكنولوجيا المخيفة ، التى تحيط بالـ (ميجالون) وتحميه ؟!

من الواضح أنهم قد بلغوا يومًا أضعاف أضعاف تكنولوجيتنا ، التى تتحدَّث عنها هذه .

تساءل الحارس فى حيرة متوترة :

ـ عجبًا ! لماذا لم يحاولوا احتلالنا ، أو السيطرة علينا أبدًا ؟!

هزَّ (كونار) رأسه فى حدة ، قائلاً :

ـ أغبياء .. حمقى .. حضارتهم السخيفة تعتمد على قواعد معقدة ، ومبادئ غبية .

قال (بولار) فى حيرة أكثر :

ـ ولكنهم الأقوى بالتأكيد .

عاد (كونار) يهزّ رأسه فى حدة أكثر ، وهو يقول :

ـ ليس إذا ما ظلوا بهذا الغباء .

مطَّ (بولار) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ ربما .

انعقد حاجبا (كونار) ، وهو يهتف فى غضب مستنكر :

ـ ربما ؟!

قال الحارس فى سرعة ، وكأنما يحاول تشتيت ذهنه :

ـ كدت تكشف أمرنا لرجل الأبحاث .

تضاعف غضب (كونار) ، وهو يقول :

ـ محال .

قال (بولار) فى خبث :

ـ ولكنك أشرت إلى موعد منتصف الليل ، ولحظة التماس العظمى ، و ..

قاطعه (كونار) فى غضب :

ـ اخرس ..

ثم مال نحوه ، واشتعلت عيناه بلهب مخيف ، وهو يضيف :

ـ لقد انتقلنا إلى هنا فى مهمة محدودة ، أقسمنا على أن نبذل حياتنا ثمنًا لنجاحها ، لو اقتضى الأمر .. أما زلت تذكر هذا ؟!

تراجع (بولار) ، متمتمًا فى عصبية :

ـ (سينور) بذل حياته بالفعل .

زمجر (كونار) ، قائلاً :

ـ حان دورك إذن .

خُيِّل للحارس أنه يرى الموت فى عينى قائده ، فتراجع أكثر ، متمتمًا :

ـ إننى مستعد لبذل حياتى ، فى سبيل نجاح المهمة ، و ...

قاطعه بوحشية أكثر :

ـ أطبق شفتيك على لسانك إذن .

تمتم (بولار) ، من بين أسنانه :

ـ كما تأمر أيها القائد .. كما تأمر .

حَدَجَه (كونار) بنظرة أخرى نارية ، قبل أن يتراجع فى وقفته ، قائلاً فى صرامة :

ـ الـ (ميجالون) ينبغى أن يتوقَّف بأى ثمن ، قبل منتصف الليل .

تراجع (بولار) فى حذر ، وهو يتمتم :

ـ التماس يستمر لثمان وأربعين ساعة أرضية .

قال (كونار) فى شراسة :

ـ ولكنه يبلغ أقصاه مع بدء حدوثه ، عند منتصف الليل ، ثم يقلّ مداه فى سرعة ، مع الساعات التالية ، وهذا يعنى أنه كلما فقدنا ساعة واحدة ، انخفضت احتمالات نقل قواتنا بالكامل درجة كاملة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ لذا فلابد أن ننجز المهمة كاملة ، قبل منتصف الليل .. هل تفهم ؟!

هزّ (بولار) كتفيه ، قائلاً :

ـ أنا رهن إشارتك .

صمت (كونار) طويلاً هذه المرة ، وهو يفكّر بعمق شديد ، قبل أن يقول فى صرامة عصبية :

ـ يبدو أننا مضطرون لاتخاذ قرار حازم ، بشأن تلك الرمال .

سأله الحارس فى قلق :

ـ أى قرار ؟!

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ قرار إما أن يضيع المزيد من الوقت ، أو ..

والتمعت عيناه ، بذلك البريق الوحشى ، مع استطرادته :

ـ أو يربحنا الأرض ومن عليها .

ولم يفهم (بولار) ما يعنيه قائده ، ولكنه كان واثقًا من أن قراره سيكون خطيرًا وحاسمًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

حاولت (سلوى) أن تملأ صدرها بنفس عميق ، مما تبقى من هواء داخل المدرَّعة ، المدفونة فى قلب الصحراء ، وهى تقول فى أسى :

ـ يبدو أنه ما من أمل بالفعل ، دون اللجوء إلى كل

ما لدينا من أجهزة تكنولوجية .. الرمال تطبق على المدرَّعة من كل صوب ، وليس باستطاعتنا دفع فتحتها مليمترًا واحدًا ، حتى لو استخدمنا كل قوتنا .

هزَّ الجندى (عبد المنعم) رأسه ، وخفض مدفعه ، وهو يتمتم فى يأس مستسلم :

ـ كلنا سنموت .. كنت أعلم هذا منذ البداية .

غمغم (نور) :

ـ اللّه أعلم .

ابتسم الجندى (إسحق) فى مرارة ، قائلاً :

ـ ألم يقنعك الموقف بعد يا سيادة المقدَّم ؟!

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً فى حزم :

ـ ليس حتى آخر رمق .

قالها ، واعتدل فى مجلسه ، قائلاً لـ (نشوى) :

ـ أما زال الكمبيوتر يعمل بكفاءة ؟!

أجابته فى ضعف :

ـ أعتقد هذا !

أشار إليه ، قائلاً :

ـ دعينا نر ما سجَّله ، فى اللحظات الأخيرة إذن .

اعتدلت (سلوى) ، قائلة فى خوف :

ـ وماذا عن عواقب استخدام التكنولوجيا ؟!

أجاب فى حزم :

ـ أجهزة التهوية والإضاءة تعمل بكفاءه منذ البداية ، ولم يؤد هذا إلى أية نتائج سلبية .

سأله (اسحق) فى لهفة :

ـ أتعنى أن نظريتك لم تكن ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ النظرية صحيحة بالتأكيد ، ولكن الأمر يتوقَّف على نوع التكنولوجيا وشدتها .

هتف (عبد المنعم) ، وكأنما أعادت إليه العبارة الأمل :

ـ حقًّا ؟!

لم يجبه (نور) هذه المرة ، ولكنه أشار إلى ابنته ، التى نهضت على الفور إلى الكمبيوتر ، وأشعلته ، مغمغمة :

ـ رباه ! أمن الممكن أن ..

لم تتم عبارتها .. ولم تشعر حتى أنه من المهم أن تكملها ، وهى تتطلّع إلى الكمبيوتر ، الذى راح يعرض كل ما سجّله ، فى اللحظات الأخيرة ، قبل العاصفة مباشرة ، و (سلوى) تتابعه باهتمام كامل ، قبل أن تهتف :

ـ انظروا .. الكمبيوتر سجّل إشارات بالغة القوة ، عند هبوب العاصفة .. إشارات منتظمة ، ذات إيقاع ثابت .. تمامًا مثل ..

بترت عبارتها لحظة ، اتسعت خلالها عيناها عن آخرهما ، فأكمل (نور) فى حزم :

ـ مثل دقات القلب البشرى .

هتفت :

ـ بالضبط .

تبادل الجنديان نظرة حائرة ، وهما يتساءلان عما يعنيه هذا ، فى حين قالت (نشوى) ، فى حيرة حذرة :

ـ وما الجديد فى هذا ؟! إننا نرصد دقات القلب هذه منذ البداية !

هزّت (سلوى) رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ ليس بهذه الشدة .. دقّات القلب التى رصدناها فى البداية ، كانت تبلغ واحدًا على ألف ، من تلك التى ترينها الآن .

اتسعت عينا (نشوى) ، وهى تهتف :

ـ إلى هذا الحد ؟!

تنحنح (عبد المنعم) ، وقال :

ـ معذرة أيها السادة ، ولكن هل لنا أن نفهم ، ما علاقة ما نعانيه بدقات القلب ؟!

أجابته (سلوى) فى انفعال :

ـ منذ البداية ، نرصد دقات قلب بشرى ، قادمة من جسم مجهول ، مدفون على عمق ثلاثين مترًا ، فى

رمال الصحراء ، ولكن من الواضح أن هذه الدقات تزداد شدتها وقوتها ألف مرة ، قبل أن ينقض جهاز دفاعيٌ ما على كل من يستخدم التكنولوجيا فى المنطقة .

بدت الحيرة فى نظرة (عبد المنعم) وصوته ، وهو يقول :

ـ لم أفهم بعد .

أشارت (سلوى) بيدها ، قائلة :

ـ سأشرح لك فيما بعد .

ثم التفتت إلى (نور) متابعة فى لهفة :

ـ هذا نفس ما يحدث فى الجسم البشرى يا (نور) ، فعندما يبذل المرء جهدًا ما ، ترتفع عدد دقات القلب وشدتها .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

هل تعنين أن هذه الرمال ..

هتفت (نشوى) فى ذعر :

ـ حية ! هذه الرمال حية يا أبى ، وذلك الجسم المدفون فى أعماقها بمثابة قلب نابض لها .

اتسعت عيون الجنديين فى ارتياع ، وهتف (إسحق) :

ـ أى قول هذا ؟!

وهتف (عبد المنعم) فى عصبية :

ـ قول خرف .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ ولكنه يتفق مع الموقف .

صاح (إسحق) :

ـ أى موقف يا سيادة المقدّم ؟! إنكم تتحدثون عن أمور غيبية ، تبدو لنا غير منطقية تمامًا ، وتنسون الموقف الفعلى ، الذى نحن فيه الآن .

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ بل إننا نسعى لإيجاد حل لها يا رجل .

ثم التفت إلى (سلوى) ، متسائلاً فى اهتمام :

ـ أخبرينى .. هل يمكننا إطلاق إشارة بث من هنا ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، مجيبة فى أسف :

- مستحيل يا (نور) ! أجهزة البث هنا محدودة ، ولا يمكن لإشاراتها تجاوز خمسة عشر مترًا فى الرمال .

قال فى توتر :

- كيف أمكننا التقاط ذبذبات ذلك الجسم إذن ؟!

أشارت بيدها ، مجيبة :

- كنا نستخدم موجات (م م - ١) الفائقة .

أدار (نور) بصره إلى المسبار الموجى ، وتطلّع إليه لحظة فى صمت وتوتر ، قبل أن يسأل (نشوى) :

- كم تبقّى لنا من هواء ؟!

أجابته فى توتر أكثر :

- ما يكفى لاثنتين وعشرين دقيقة على الأكثر ، دون انفعالات زائدة أو مضاعفة .(*)

(*) عند الانفعال ، تفرز الغدة فوق الكلوية كمية زائدة من هرمون (الأدرينالين) ، مما يؤدى إلى رفع ضغط الدم ، وقوة وعدد النبضات فى القلب ، وزيادة معدلات التنفس ، واستهلاك الأكسجين ، وكذلك نسبة إفراز العرق .

انعقد حاجباه أكثر ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة ، ليس لدينا خيار .

سألته (سلوى) فى قلق :

- ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أجاب فى حزم :

- إننا نفقد الهواء ، ونفقد معه آخر أمل فى النجاة ، وما دام الموت آت لاريب ، فلنستخدم آخر وسيلة لدينا ، حتى لو جلبت لنا الموت ذاته ، على نحو أسرع .

تساءل (إسحق) فى حذر مذعور :

- ما الذى ترمى إليه بالضبط يا سيادة المقدّم ؟!

أشار (نور) إلى جهاز (م م - ١) ، وهو يقول فى حزم :

- هذا .

ثم أضاف فى سرعة :

- سنستخدم جهاز (م م - ١) ، لبث إشارة استغاثة .

قالت (نشوى) فى ذعر :

ـ وماذا عن العواقب ؟!

هزَّ رأسه ، مجيبًا بابتسامة مريرة :

ـ لن تختلف كثيرًا عن الموت اختناقًا يا عزيزتى .

امتقع وجهها ، وهى تغمغم :

ـ صدقت .

أما (سلوى) ، فقد ظلَّت صامتة لحظات ، ثم لم تلبث أن استدارت إلى جهاز (م م ـ ١) ، وراحت تضغط أزرار إشعاله ، دون أن تنبس ببنت شفة ..

ودون أن ينبس غيرها بكلمة واحدة ..

ووسط صمت رهيب ، انطلق أزيز الجهاز ، وأضيئت شاشته ، و ..

وأطلقت (سلوى) شهقة قوية ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى ! انظروا .

حدَّق الجميع فى الشاشة بذعر ، قبل أن يهتف (نور) :

ـ رباه ! لقد تصوَّرنا أننا على عمق خمسة عشر مترًا فحسب .

وانهارت (نشوى) على مقعدها ، هاتفة :

ـ إننا إلى جواره .

فعلى مسافة عشرة أمتار أفقية منهم فحسب ، وفى أعماق رمال الصحراء الغربية ، رصد جهاز (م م ـ ١) ذلك الجسم الكروى ..

وكان هذا يعنى أن المدرَّعة (صلب) قد غاصت كثيرًا ، فى أعماق الرمال ..

كثيرًا جدًّا ..

لقد التهمتها تلك الرمال الحية وابتلعتها ، إلى عمق ثلاثين مترًا ..

ومن تلك المسافة القريبة ، بدا ذلك الجسم الكروى هائلاً ..

هائلاً بحق ..

وفى توتر بالغ ، ويأس بلا حدود ، تمتمت (نشوى) :



وفى أعماق رمال الصحراء الغربية ، رصد جهاز (م م - ١) ذلك الجسم الكروى .. وكان هذا يعنى أن المدرَّعة (صلب) قد غاصت كثيراً ، فى أعماق الرمال ..

- لا فائدة .. لا فائدة .

حدَّق (نور) فيها لحظة فى جزع ، ثم هتف بـ (سلوى) :

- أطلقى البث .

قالت (سلوى) فى يأس مماثل :

- وما الفائدة يا (نور) ؟! حتى لو التقطوا البث فى الخارجى ، كيف يمكنهم الوصول إلينا ، قبل أن ينفد الهواء ؟!

كررَّ فى صرامة :

- أطلقى البث يا (سلوى) .

بدا صوتها مثالاً حيًا لليأس والقنوط ، وهى تقول :

- لا فائدة يا (نور) .. لا فائدة .

صرخ بكل صرامة الدنيا :

قلت : أطلقى البث .

ثم دفع جسده إلى الأمام ، دون أن ينتظر رد فعلها ، وضغط زر البث ..

وتألّقت شاشة جهاز (م م ـ ١) ..

وانطلقت ذبذباته ..

ولثوان ، حدّق الجميع فى الشاشة بصمت ملتهب بالقلق ..

وبقلوب تخفق فى قوة ..

وهلع ..

ثم فجأة ، ظهرت شوشرة قوية ، على شاشة الجهاز ..

شوشرة لم تكن بحاجة إلى تفسير من (سلوى) أو من أى مخلوق آخر ..

شوشرة اقترنت بصوت مسموع ، استقبلته جدران المدرّعة ، ونقلته بدوى مكتوم داخلها ..

صوت إيقاع منتظم مألوف ..

إيقاع عنيف ثابت ..

إيقاع قلب بشرى ..

فى قلب الخطر .

* * *

٧ ـ السلاح السرى ..

لم يكن من الممكن أبدًا أن يستسلم (أكرم) لذلك الموقف السخيف ..

لم يكن من المنطقى أبدًا أن يقبل بمصير بائس رهيب كهذا ، دون أن يقاتل حتى آخر نفس ، وآخر رمق ..

لذا فقد راح يدفع جسده بكل قوته ، عبر ذلك الضباب الأخضر الكثيف ، فى محاولة لبلوغ نهاية الفراغ الرهيب ، الذى يسبح فيه الجميع ..

وفى يأس شديد ، هتف الرئيس :

ـ ماذا تفعل يا ولدى ؟! لا تزد الأمر تعقيدًا .. إننا جميعًا أسرى ، داخل ذلك الشىء الرهيب

قال (أكرم) فى حدة :

ـ إننى أفضّل الموت .

هتف الوزير فى حزم :

- صدقت يا رجل .

ثم التفت إلى الرئيس ، متابعًا :

- إنه على حق يا سيادة الرئيس .. ما قيمة حياتنا ، داخل ذلك الشىء ؟! وما مصيرنا النهائى فيه ؟! هل سنصبح مجرَّد جراثيم بشرية ، كما قال مدير مكتبى ؟! أم سينتهى بنا الحال كحلية فنية للزينة ، بين أصابع ذلك المخلوق البشع ؟!

انتقل حزمه إلى الرئيس ، وهو يقول :

- ومن يقبل بمصير كهذا ؟!

أجاب (أكرم) ، وهو يواصل السباحة ، عبر الضباب الأخضر :

- دعونا نقاتل إذن .

تبعه الجميع ، ومدير مكتب الوزير يقول فى يأس :

- كيف يمكن أن نواجه مخلوقات رهيبة كهذه ؟! لقد نجح فى تصغيرنا وتقليصنا ، على نحو تعجز عنه كل تكنولوجيتنا ، ومن يدرى ما الذى يمكن أن يفعله أكثر !!

قال (أكرم) فى حزم :

- ليس الكثير حسبما أعتقد .

هتف الرئيس فى دهشة :

- وكيف هذا ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يواصل شق طريقه فى المقدِّمة :

- على الرغم من بشاعة خلقته ، والتكنولوجيا التى بهرنا بها ، إلا أنه مجرَّد مقاتل ، فى مهمة خاصة إلى عالمنا ، كلفه إياها إمبراطور عالمه ، ولو أنه رجلٌ خارقٌ لا يُقهر كما تتصوَّرون ، لما أرسل الإمبراطور حارسيه الخاصين لمعاونته .

هتف الوزير ذاهلاً :

- وكيف علمت كل هذا ؟!

أجابه (أكرم) فى حزم :

- هو أرادنى أن أعلم .

ردَّد الرئيس بدهشة كبيرة :

ـ هو ماذا ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يدفع ذراعيه فى إصرار ، عبر الضباب ، الذى تضاعفت كثافته على نحو ملحوظ :

ـ لقد مزج ذكرياته بعقلى .

هتف الوزير :

ـ مزج ماذا ؟!

هزَّ (أكرم) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لست أجد تعريفًا آخر ، لأصف به ما حدث ، ولكن ذلك الوغد اخترق عقلى بوسيلة ما ، وغرس فيه ذكرياته ، حتى يزهو بنفسه ، ويخبرنى كم تبلغ مكانته فى عالمه .

ثم عضَّ شفتيه فى غضب ، مضيفًا :

ـ وأراهن على أن هذا أكبر خطأ ارتكبه ، فى حياته كلها .

لم يعلِّق أحدهم على عبارته الأخيرة هذه ، ولكن الرئيس سأل فى اهتمام :

ـ إذن فأنت تعتقد أن باستطاعتنا مقاومته ؟

لوَّح (أكرم) بقبضته ، هاتفًا فى صرامة :

ـ وهزيمته أيضًا .

مع آخر حروف كلماته ، ارتطمت قبضته بحاجز صلب ..

وهنا تجمَّد الكل دفعة واحدة ..

وحدَّقوا بعضهم فى البعض ..

وبعد وهلة من الصمت ، غمغم الرئيس فى انفعال :

ـ إنها الحافة .

تمتم (أكرم) :

ـ بالتأكيد .

نطقها ، ومال بوجهه ، نحو ذلك الحاجز الزجاجى ، فى محاولة لرؤية ما خلفه ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فعبر الحاجز نصف الشفاف ، رأى ما جعله يدرك ، كم بلغ صغر حجمهم ..

على بعد بدا أشبه بعشرات الكيلومترات ، كان يقف (كونار) ، هائلاً عملاقًا ، أمام شاشة الرصد ، التى تبدو كبناء إليكترونى مارد ، وعلى مسافة منه يقف حارسه (بولار) ..

وكانت نسبة الأحجام توحى بأن (أكرم) لا يزيد فى مقاييسه على حجم عقلة إصبع صغيرة ..

ولقد زاده هذا رهبة ..

وغضبًا ..

وثورة ..

أما بالنسبة للباقين ، فقد اتسعت عيون الرئيس والوزير ، وبدا عليهما توتر بلا حدود ، فى حين تمتم مدير مكتب الوزير ، وهو يتراجع فى هلع :

ـ ألم أقل لكم إنه لا فائدة ؟! هزيمة هذا الشىء مستحيلة ! مستحيلة تمامًا !!

صاح به (أكرم) :

ـ لا تنطقها .

ثم راح يتحسَّس جيوبه ، بحثًا عن أى شىء ، يصلح للتعامل مع ذلك الحاجز الشفاف السميك جدًا ..

أى شىء ..

ففى أعماقه ، كان يرفض اليأس تمامًا ، ويثق بأنه هناك حتمًا وسيلة للخلاص من كل هذا ..

ولكن كيف ؟!

كيف ؟!

وفى ذلك الموقف ، ووسط الضباب الأخضر الكثيف ، بدا له السؤال غريبًا سخيفًا ..

وبلا جواب ..

على الإطلاق ..

* * *

« لست أفهم هذا .. »

غمغم (بولار) بالعبارة فى عصبية ، فانعقد حاجبا (كونار) ، وعقد كفيه خلف ظهره ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول :

ـ ما الذى لا تفهمه بالضبط ؟!

أشار (بولار) إلى الشاشة ، قائلاً فى عصبية :

ـ فى البداية قلت : إنك تخشى أن تبدأ الحفارات العملاقة عملها ، فيفاجئها هجوم عاصف قاتل آخر ، وإنك قد أمرتها بعدم البدء فى الحفر ، إلا بعد مرور تلك الساعة ، التى ينتهى فيها مخزون الهواء ، داخل المدرَّعة (صلب) ؛ لتضمن مصرع (نور) وعائلته ، ثم فجأة ، تغير كل أفكارك ، وتأمر ببدء الحفر فورًا ، على الرغم من كل النتائج والعواقب المحتملة ، ومن كل ما كشفه رجال البحث هنا ، عن التكنولوجيا الفائقة المعقَّدة ، فى قلب ذرات الرمال .. ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أشار (كونار) برأسه ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ يعنى أننى قائد يا رجل .. قائد حقيقى .. والقائد العبقرى هو الذى يدرك متغيرات الأمور ، ويستوعب الحقائق الجديدة ، ويمتلك القدرة على تغيير استراتيجيته وأسلوبه ، وفقًا لأية معطيات جديدة ، فى ساحة القتال .. ولقد أدركت أن الوقت يمضى فى سرعة ، والأرضيون يحتاجون إلى ساعات طوال ، لإدراك واستيعاب تلك التقنية الرهيبة ، التى تحيط بجسم (ميجالون) ، ونحن

لا نمتلك تلك الساعات ، ولا حتى ربعها ، ثم إننا سنحتاج إلى عدة ساعات ، بكل ما لدينا من معارف وتقنية ، لإيقاف عمل وتأثير الـ (ميجالون) ، قبل أن تحين لحظة التماس العظمى ، مع منتصف الليل ! لذا فمن المحتمّ أن نبدأ العمل على الفور ، وأن ندفع الحفارات العملاقة للعمل ، ولإزاحة أطنان الرمال ، التى تحيط بالـ (ميجالون) ، حتى نتمكَّن من السيطرة عليه فى الوقت المناسب .

سأله (بولار) فى حدة :

ـ وماذا لو أشعل هذا عاصفة جديدة ؟!

قال فى صرامة :

ـ عندئذ نكون قد حسمنا الأمر ، وأدركنا مصير تلك المحاولة ، وسيكون لدينا الوقت للقيام بمحاولة أخرى ، أو البحث عن وسيلة مختلفة .

ثم مطَّ شفتيه ، وألقى نظرة أخرى على الشاشة ، متابعًا :

ـ ثم إن القراءات الجديدة ، لأقمار الكشف الصناعية ،

تؤكِّد أن المدرَّعة (صلب) قد غاصت لأمتار أخرى فى الرمال ، خلال الساعة الماضية ، بحيث صارت موازية تقريبًا للـ (ميجالون) .

سأله (بولار) فى حيرة متوترة :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

صمت (كونار) لحظة ، ثم أجاب فى صرامة :

ـ إما أن تلك الرمال ضعيفة التماسك ، بحيث تتعامل مع الأجسام على نحو أشبه ببحيرات الرمال الناعمة ، أو ...

بتر عبارته ، وهو يفكِّر فى عمق ، فسأله (بولار) فى توتر بالغ :

ـ أو ماذا ؟!

انعقد حاجبا (كونار) فى صرامة لثوان ، قبل أن يجيب فى صرامة عصبية :

ـ أو أن الـ (ميجالون) يلعب لعبة جديدة ..

واكتسى صوته بغضب مكتوم ، وهو يضيف :

ـ لعبة نجهلها تمامًا .. ونجهل أية نتائج ستؤدِّى إليها ، سواء بالنسبة لنا أو ...

وازداد انعقاد حاجبيه ، مع استطرادته العصبية :

ـ أو بالنسبة لكوكب الأرض .

واتسعت عينا (بولار) عن آخرهما ، وعقله يدرس ألف احتمال واحتمال ..

ثم انتفض جسده كله فى عنف ..

فأقل تلك الاحتمالات كان مخيفًا ..

مخيفًا بحق ..

★ ★ ★

اعتدل طاقم حراسة مبنى وزارة الدفاع فى تحفُّز ، عندما توقَّفت سيارة الرائد (أيمن) ، أمام المبنى ، ووثب هذا الأخير منها فى خفة ، واتجه نحوهم ، مشيرًا بيده فى صرامة ، وقائلاً :

ـ أفسحوا الطريق .

ارتفعت فوهات المدافع الليزرية فى وجهه ، وقائد طاقم الحراسة يقول فى لهجة قوية محذِّرة :

ـ قف وابرز تحقيق الشخصية فورًا .

تجاهله (أيمن) تمامًا ، وهو يواصل طريقه نحو البوّابة ، فانعقد حاجبا قائد طاقم الحراسة فى غضب متوتر ، وهو يقول :

ـ قف وإلا أطلقنا النار فورًا .

واصل (أيمن) طريقه ، وكأنه لم يسمعه ، فتراجع الرجل خطوة ، وهتف :

ـ طاقم الحراسة .. استعد .

تحفّزت السبّابات فوق أزندة المدافع ، واتجهت الفوهات القاتلة نحو (أيمن) الذى استمرّ فى طريقه ، وكأنما لم يسمع شيئًا ، فصاح قائد الطاقم ، وهو يشير بيده فى حزم :

ـ أطلقوا النار .

وقبل حتى أن تكتمل صيحته ، كانت سبّاباتهم تعتصر أزندة مدافعهم ، و ...

وفى نفس اللحظة ، التى بدأت فيها سبّاباتهم رحلتها ، وثب (أيمن) ..

وثب وثبة هائلة مدهشة ، تجاوزت الأمتار الثلاثة ارتفاعًا ، والخمسة طولاً ، على نحو أذهل الكل ، فاتسعت عيونهم عن آخرها ، وهو يهبط خلفهم تمامًا ..

وعندما استداروا لمواجهته ، كشفوا أن حركتهم بالنسبة لحركته بطيئة ، على نحو رهيب ..

لقد تحرّك هو بسرعة مذهلة ، ودار جسده حول نفسه دورة أفقية قوية ، ركلت خلالها قدمه ثلاثة منهم ، قبل أن تنطلق قبضتاه فى تتابع سريع رهيب ، حطمَّ الفكوك والأنوف فى ثوان معدودة ..

وتراجع قائد طاقم الحراسة فى ذهول ، وهو يصوّب مدفعه إلى (أيمن) هاتفًا :

ـ مستحيل ! مستحيل !

ثم رفع فوهة مدفعه فى سرعة ..

ولكن (أيمن) تحرّك كالبرق ..

وبسرعة مذهلة ، وثب الرائد يختطف مدفعًا آليًّا ، من أسلحة رجال الحرس الفاقدى الوعى ، ثم يرفع فوهته ، ويطلق أشعته ، التى أطاحت بمدفع قائد الحراسة ، قبل أن يضغط هذا الأخير زناد مدفعه ..

وفى ذهول تام ، تراجع قائد الحراسة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتوقَّع أن يهاجمه (أيمن) ، الذى اكتفى بنظرة باردة عليه ، ثم استدار ، وواصل طريقه نحو مبنى الوزارة ، ملقيًا المدفع خلف ظهره ...

ولثوان ، حدَّق فيه قائد طاقم الحراسة ذاهلاً ، ثم لم يلبث أن انتفض فى عنف ، منتزعًا نفسه من ذهوله ، ليلتقط جهاز الاتصال من حزامه ، ويهتف :

- إنذار عام .. إنذار عام .. دخيل فى الوزارة .. دخيل يتجه نحو المبنى الرئيسى ، حيث يوجد السيِّد رئيس الجمهورية .. إنذار عام .

ثم انحنى يلتقط مدفعًا آليًا آخر ، من وسط رجاله ، الذين تراصوا فاقدى الوعى من حوله ، واندفع محاولاً اللحاق بـ (أيمن) ، الذى واصل طريقه بثقة عجيبة ، على الرغم من أن أذنيه الحادتين قد التقطتا كل ما بثَّه القائد عبر جهاز الاتصال ، وأدرك أنه سيواجه خطة الطوارئ رقم (واحد) ..

خطة التصدِّى لهجوم إرهابى ..

وحماية المسئول الرئيسى ..

وعلى مسافة عشرين مترًا منه ، برز جزء من أرضية المكان ، بزاوية حادة ، ليصنع أمامه حاجزًا منيعًا ، مضادًّا للرصاصات والقنابل ، وحتى أشعة الليزر ، وليحول بينه وبين المبنى الرئيسى للوزارة ..

المبنى الذى يضمّ مكتب وزير الدفاع ..

وفى اللحظة نفسها ، اندفع فريق من القوات الخاصة ، المدرَّبة على مكافحة الإرهاب ، بأزيائهم الرسمية السوداء ، وترسانة الأسلحة التى يحملونها ..

وفى لحظة واحدة ، اتجهت فوهات كل أسلحتهم نحوه ، وهتف قائدهم :

- أطلقوا النار ..

لم يبال (أيمن) بكل ما يحدث ، وهو يواصل طريقه فى ثبات ، واكتفى بضغط زر صغير فى حزامه ، تألَّق على إثره جسده كله ، ببريق فيروزى باهت ..

ثم انطلقت الرصاصات وخيوط الأشعة ..

بل انهالت عليه كالمطر ..

وارتطمت كلها بجسده ..

كلها بلا استثناء ..

ثم ارتدت فى عنف ..

وتراجع رجال مكافحة الإرهاب فى ذهول ..

ولكنهم واصلوا إطلاق أسلحتهم ..

وواصلت طلقاتهم ارتدادها عن جسده ..

كل ما حدث هو أن الهالة المحيطة به ، راح لونها يتغيرّ ، من الفيروزى إلى الأخضر إلى الأصفر ، ثم البرتقالى ..

كان من الواضح أنها تصنع حوله غلافًا واقيًا ، يتفاعل مع كل مايرتطم به ..

وكان على رجال مكافحة الإرهاب أن يطوّروا أسلوبهم وقتالهم ، قبل أن يتجاوز ذلك الدخيل نطاقهم ، ويبلغ أخطر بقعة فى (مصر) ..

لذا ، فقد استخدموا قنابلهم اليدوية ..

وهنا وثب (أيمن) مرة أخرى ..

ووثبته هذه المرة كانت هائلة بحق ..

لقد تجاوز بها فريق مكافحة الإرهاب كله ، تاركًا الانفجارات خلفه ، فى ساحة المبنى ، على نحو أثار انتباه المنطقة كلها ، وجعل (مشيرة) السجينة فى قاعة الانتظار تهرع إلى النافذة ، هاتفة :

ـ رباه ! ما الذى يحدث هنا ؟! ما الذى يحدث ؟!

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى رأت الرائد (أيمن) ، وهو يتجاوز النافذة بوثبة خارقة ، ويتعلق بحاجز نافذة الطابق العلوى ، فتراجعت هاتفة :

ـ مستحيل ! مستحيل !

كان أكثر ما يحنقها ، فى هذه اللحظة ، هو أن جهاز الاتصال الخاص بها قد توقّف عن العمل ، منذ أصدر الرئيس قراره بالتحفظ عليها ..

وما يحدث حولها يوحى بأن الموقف كله مشتعل للغاية ..

مشتعل على نحو لم يحدث من قبل ..

وعليها أن تجد وسيلة لمعرفة ما يحدث ..

وبأى ثمن ..

لذا فقد اندفعت نحو باب القاعـة ، وضربتـه بكفيها فى قوة ، هاتفة :

- أخرجونى من هنا .. أخرجونى .. ليس من حقكم أن تحتجزونى هنا .

كرَّرت هتافها مرتين ، دون أدنى استجابة ، فدفعت الباب بكل قوتها ، و ..

ولدهشتها ، انفتح الباب على مصراعيه ..

لم يعد جندى الحراسة هناك ..

من الواضح أن ما يحدث فى المكان قد جذب الكل ، وألهاهم عن مهمة جانبية كهذه ..

ولم تُضع (مشيرة) لحظـة واحـدة ، فـى التفكـير أو البحث عن الأسباب والمبرِّرات ..

لقد اندفعت تغادر القاعة ، حاملة حقيبتها الصغيرة ، وانطلقت تبحث عن أية وسـيلة غير مباشـرة ، لبلـوغ موقع الرئيس ..

أية وسيلة ..

وفى اللحظة ذاتها ، كان قائد فرقة مكافحة الإرهاب يهتـف ، عبر جهـاز اتصـال داخلـى ، بفريـق خـاص للطوارئ :

- الاحتجاز فشل .. نفذوا الخطة (ب) .

وفور تلقى الإشارة ، انطلق الفريق الاحتياطى لتنفيذ الخطة (ب) فورًا ..

خطة إنقاذ الطوارئ ..

وبسرعة وعنف ، اقتحم فريق الطوارئ حجرة الوزير ، حيث يقف (كونار) ، الذى هتف بهم فى صرامة :

- ما الذى يحدث هنا ؟! ما هذه الانفجارات ؟!

وصاح بهم (بولار) فى غضب :

- كيف تجرءون على ..

قاطعة قائد فريق الطوارئ ، وهو يندفع مع رجالـه نحو (كونار) :

- إنها محاولة اقتحام يا سيادة الرئيس .. نحن نواجه مقاتلاً فوق العادة ، ولا بد أن يتم نقل سيادتكم إلى نفق الطوارئ فورًا .

قالها ، وهم يلتفون حول (كونار) ، ويجذبونه فى قوة ، فصاح بهم فى غضب هادر :

ـ ابتعدوا .. إياكم أن تجذبونى هكذا ..

ورفع (بولار) فوهة مدفعه ، وهو يصرخ بدوره :

ـ ابتعدوا وإلا أطلقت النار ..

هتف به قائد الفريق فى عصبية :

ـ إنها خطة الطوارئ (ب) يا رجل .. حماية القائد فوق كل اعتبار .

التهبت عينا (كونار) ، وهو يقول فى وحشية :

ـ قلت : ابتعدوا .

لم يكد يطلق عبارته ، حتى شعر الجنود بصاعقة قوية تخترق أجسادهم ، وتلقى بهم بعيدًا فى عنف ، وكل منهم يشعر بآلام لا مثيل لها ، تكاد تلتهم كل خلية من خلاياه ، فتراجع قائدهم ، هاتفًا فى ذهول :

ـ ماذا حدث ؟! يا إلهى ! ماذا حدث ؟!

أجابه (كونار) فى غضب ، وبصوته الحقيقى ، الشبيه برنين جرس مكتوم ، امتزج بفحيح أفعى رهيبة :

ـ قلت : ابتعدوا .

تراجع القائد أكثر ، وهو يقول بذهول مذعور :

ـ ولكننا نواجه مقاتلاً فوق العادة بالفعل يا سيادة الرئيس ، و ...

قاطعه (كونار) بصرامة وحشية :

ـ أنا أيضًا مقاتل فوق العادة .

اتسعت عينا الرجل فى ذهول ، وهو يهتف :

ـ رباه ! إنك لست .. لست ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، ضغط (بولار) زناد مدفعه ..

وانطلقت الأشعة القاتلة ..

ومع صرخة مدوية ، انتزعت دفقة الأشعة الرجل من مكانه ، وألقته عبر الحجرة ، ليرتطم ببابها ، ويسقط معه بمنتهى العنف ..

وما إن سقط الباب ، حتى ظهر الرائد (أيمن) خلفه ..

كان يقف هناك ممشوقًا ..

قويًا ..

صارمًا ..

واثقًا ..

متحديًا ..

ولثوان ، التقط عيناه بعينى (كونار) ..

ثوان كانت كافية ، ليتبادل الاثنان كل مقت وغضب الدنيا ..

وليصرخ (بولار) فى ثورة :

ـ اذهب إلى الجحيم ..

ثم يرفع يده ، بسلاح رهيب من عالمه ، ليطلقه نحو الهدف ..

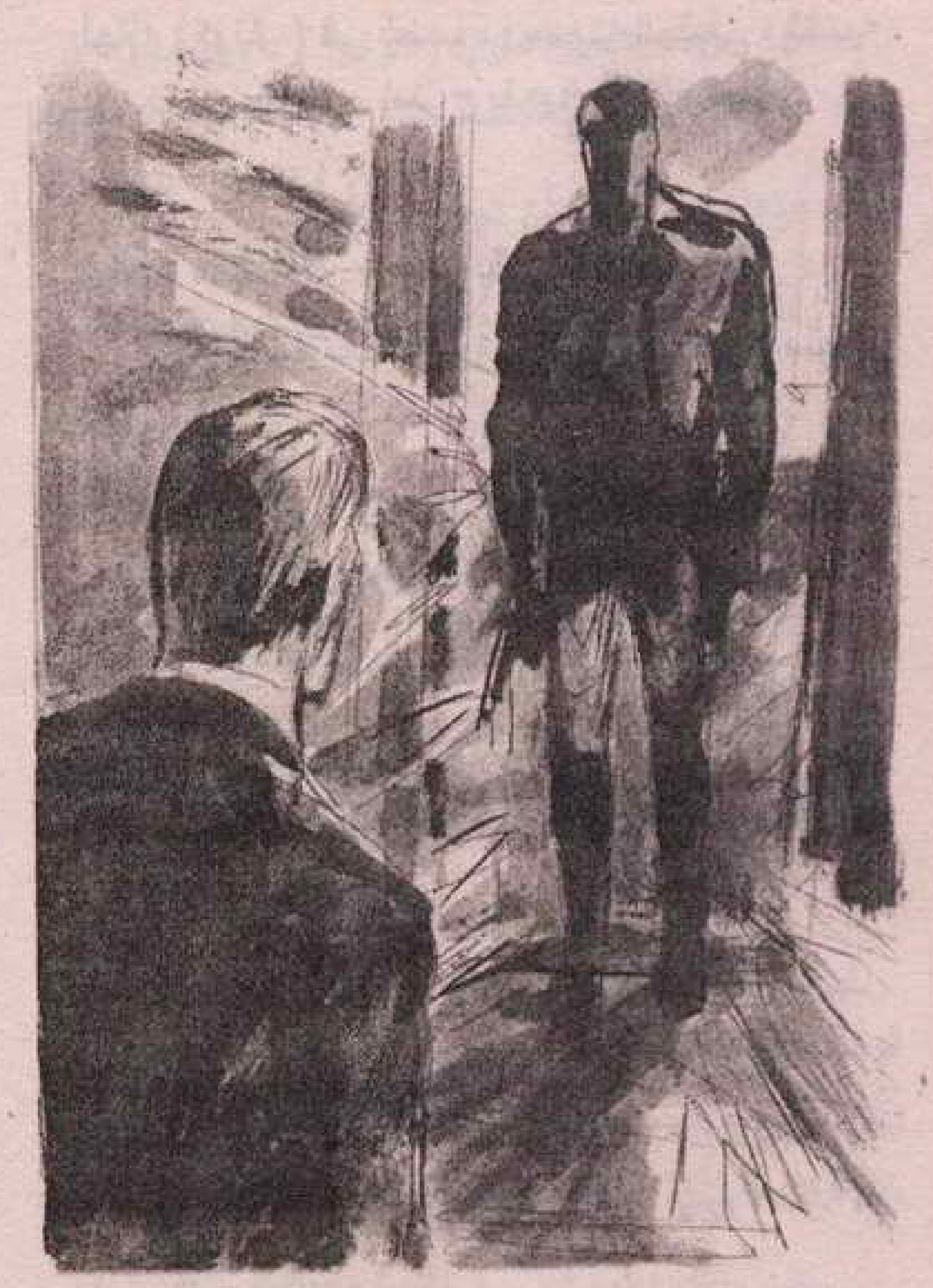
سلاح لا مثيل له على كوكب الأرض ، ولا طاقة لمخلوق على احتماله ، مهما بلغت مناعته ..

وهدف أرضى متطورٌ ..

هدف يُدعى (أيمن) ..

الرائد (أيمن) ..

* * *



وما إن سقط الباب ، حتى ظهر الرائد (أيمن) خلفه ..
كان يقف هناك ممشوقًا ..

« رباه ! إنه هو .. »

هتف (أكرم) بالعبارة ، وهو يلصق وجهه بالجدار السميك ، فسأله رئيس الجمهورية فى لهفة شديدة التوتر :

ـ من ذا الذى تتحدَّث عنه ؟! وما الذى يحدث فى الخارج ؟!

هتف (أكرم) :

ـ لست أدرى ما الذى يحدث ، ولكننى أرى الرائد (أيمن) هنا !! لقد كنت أتصوَّره قد لقى مصرعه ، فى مغامرة سابقة .

هتف القائد الأعلى ، فى لهفة مندهشة :

ـ الرائد (أيمن) ؟!

سأله الوزير فى توتر :

ـ من الرائد (أيمن) هذا ؟!

أشار القائد الأعلى بسبَّابته ، قائلاً :

ـ الرائد (أيمن) هو أحد ضباطنا الأكفاء ، ولقد

تعرَّض بالفعل لإصابة عنيفة ، كادت تودى بحياته ، لولا أن أخضعه الدكتور (جلال) ـ ولم يكن عندئذ رئيسًا لمركز الأبحاث ـ لعملية تطويرية خاصة ، صنعت منه ..

بتر عبارته بغتة ، وكأنما أدرك أنه يتجاوز حدود أسرار عمله ، فهتف به الرئيس فى عصبية :

ـ صنعت منه ماذا ؟!

تردَّد القائد الأعلى لحظة ، ثم حسم أمره ، قائلاً :

ـ صنعت منه سلاحًا سريًّا خطيرًا ، كنا ندخره لمواجهة أكثر عنفًا .

سأله وزير الدفاع فى توتر :

ـ ما المقصود بالسلاح السرى ؟!

شدّ القائد الأعلى قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ باختصار شديد ، ودون الدخول فى تفاصيل فنية أو تكنولوجية ، لقد حوَّلنا الرائد (أيمن) إلى مقاتل فوق العادة .. مقاتل شبه آلى .

هتف الرئيس فى ذهول :

ـ مقاتل ماذا ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى صاح (أكرم) :

ـ رباه ! إنه ..

وقبل أن تكتمل كلمته ، دوى انفجار رهيب ، بلغ صداه أعماق ذلك الضباب الأخضر الكثيف ، وانبعث معه وميض قوى ، كاد يغشى أبصار الجميع ..

ففى نفس اللحظة ، التى أطلق فيها (أكرم) هتافه ، كان (بولار) يرفع سلاحه نحو (أيمن) ، الذى تحرك بسرعته المذهلة ، فوثب إلى الأمام ، وهو ينتزع حلقة صغيرة من حزامه ، ألقاها نحو (بولار) بقوة ..

واخترقت الحلقة الحادة معصم (بولار) ، الذى صرخ فى ألم مذعور ، وأفلت السلاح من بين أصابعه ، وسقط عند قدميه ، و ...

وانطلق ..

انطلق بدوىّ عنيف ، مع ضوء مبهر ، وطاقة مخيفة ، مزّقت جسد (بولار) تمزيقًا وحوّلته فى لحظة

إلى كومة من الأشلاء واللحم المفرى ، تبعثرت على أرضية الحجرة ..

وسقطت تلك الكرة الخضراء ، الملصقة بالجدار ..

وارتطمت بالأرض فى عنف ..

وتدحرجت بعيدًا ..

أما (أيمن) ، فقد نهض واقفًا فى سرعة وصرامة ، وارتطمت عيناه بعينى (كونار) ، الذى زمجر مرة أخرى ، فى وحشية رهيبة ، وغضب هادر ، جعلاه يطرح عن وجهه ملامح الرئيس وهيئته ، وهو يقول :

ـ كيف تجرؤ أيها الأرضى ؟!

سأله (أيمن) فى صرامة :

ـ أين سيادة الرئيس والآخرون ؟!

صرخ (كونار) :

ـ كيف تجرؤ ؟!

صمت (أيمن) لحظة ، ثم قال فى صرامة :

ـ لو أنك تتصوَّر أننى أعزل من السلاح فأنت مخطئ .

ثم انتزع من حزامه فى هدوء كرة لامعة ، فى حجم كرة التنس ، وهو يكمل :

ـ هذا السلاح ينتمى إلى عالم آخر ، تم تطويره هنا على الأرض ، بحيث يكفى لسحق ديناصور كامل فى لحظة واحدة .

ابتسم (كونار) فى سخرية عصبية ، قائلاً .

ـ يا للقـوة !

رفع (أيمن) الكرة نحـو (كونـار) وقـال بكل صرامة الدنيا :

ـ للمرة الأخيرة .. أين الرئيس والآخرون ؟!

هتف (كونار) فى غضب :

ـ يا للسخافة والغرور !

ثم انتزع من ثيابه جسمًا على شكل نصف قوس ، أمسكه بقبضته فى قوة ، وهو يقول فى حدة :

ـ وهـذا السلاح ، الذى كنت أحتفظ بـه لمواجهة خاصة ، يكفى لتحويل ديناصورك هذا إلى حفنـة من الرماد فى جزء من الثانية .

تبادلا نظرة متحدية لحظـة ، ثم قـال (أيمـن) فـى صرامة :

ـ أنت اخترت .

قالها ، وضغط الكرة ، فى نفس اللحظة التى ضغـط فيها (كونار) سلاحه ..

وتـألَّقت الحجرة بضوء رهيب ، مـع فرقعة أشبه بانطلاق ألف ألف صاعقة ..

ثم انطلقت فى المكان رائحة مخيفة ..

رائحة الدمار ..

والموت .

* * *

٨ ـ السيطرة ..

نهض رئيس الجمهورية من سقطته ، وسط ذلك الفراغ الضبابى الأخضر ، وهو يهتف فى انزعاج شديد :

ـ ماذا حدث ؟! ماذا أصابنا ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يحاول إلصاق وجهه بالجدار السميك مرة أخرى :

ـ لقد سقطت الكرة ، التى يحتجزنا داخلها ذلك الوغد .

قال مدير مكتب الوزير بدهشة مذعورة :

ـ الكرة ؟! وكيف علمت أنها كرة ؟!

أجابه فى عصبية :

ـ أى جسم سواها يمكن أن يتدحرج ، فى كل الاتجاهات ، بهذه الانسيابية المطلقة يا رجل ؟!

اتسعت عينا الرجل ، وكأنما صدمه الجواب ، وانكمش على نفسه فى استسلام ، جعل الوزير يقول فى حدة :

ـ يا لك من رجل ؟! كيف جعلتك يومًا مديرًا لمكتبى ؟! كان المفترض أن ..

قاطعه (أكرم) فى توتر :

ـ مهلاً .. يبدو أن المواجهة ستتم الآن ، بين (أيمن) وذلك الوغد .

هتف القائد الأعلى :

ـ حقًا ؟! يا إلهى ! يا إلهى !

حبس جميعهم أنفاسهم ، واقتربوا ليلصقوا وجوههم بجدار الكرة السميك ، و ...

ودوت تلك الفرقعة المكتومة ..

وانبعث الضوء المبهر ..

وتراجع الكل مع عنف التأثير ..

وسقطوا وسط الضباب الأخضر الكثيف ..

وعلى مقربة منهم ، ارتطم جسم عملاق ثقيل بالأرض ..

وبكل توتره ، هتف (أكرم) :

ـ ترى من الـ ...

بتر عبارته ، التى لم يستطع اكمالها ، فهبَّ من مكانه ، ودفع جسده نحو الجدار السميك ، وألصق وجهه به ، وتطلَّع عبره بكل لهفته وقلقه ، و ...

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فعلى مسافة متر واحد من الجدار السميك ، كان هناك جسد ملقى أرضًا ، ودخان كثيف يتصاعد من صدره ، وقد جمدت ملامحه كتمثال من الحجر ..

جسد الرائد (أيمن) ..

واتسعت عيون الجميع فى ارتياع ..

ومن بعيد ، انطلقت ضحكة ظافرة عملاقة ..

ضحكة (كونار) ، وهو يستعيد وجه وملامح ولهجة الرئيس ، قائلاً :

ـ مقاتل فوق العادة ! يا للسخرية ! كان ينبغى أن يدرك أنه يواجه أقوى مقاتل فى الكون كله .

تبادل الجميع نظرة ذاهلة ، بائسة ، يائسة ، وقد أدركوا أنهم قد فقدوا الأمل فى النجاة ..آخر أمل ..

* * *

شدَّ (كونار) قامته فى صرامة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، مستعيدًا شخصية رئيس الجمهورية ، وهو يشرف على رجال الحراسة ، الذين راحوا يعيدون تنظيم المكان ، وينقلون جسد (أيمن) ، الذى فقد كل أثر للحياة ، وقائد طاقم الحراسة يهتف مبهورًا :

ـ إذن فقد تغلَّبت عليه وحدك يا سيادة الرئيس ! يا إلهى ! من كان يتصوَّر هذا !! لقد عجزنا جميعًا عن التصدِّى له ، ولقد نجح فى قتل حارس السيِّد الوزير ، وقائد فرقة الطوارئ بلا رحمة .

قال (كونار) فى صرامة :

ـ كان ينبغى أن تثق بقدرات رئيسك يا رجل .

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيادة الرئيس ، ولكننى ..

قاطعه (كونار) فى صرامة :

ـ لا تعتذر يا رجل .

ثم استدار إلى جهاز الرصد ، قائلاً :

ـ تُرى أما زال هذا الشىء يعمل بكفاءة ؟!

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، مجيبًا :

ـ كلاً للأسف يا سيادة الرئيس .. من الواضح أن الانفجار قد أتلف أجهزته كلها .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكن الوصلات الرئيسية كلها سليمة .

مطَّ (كونار) شفتيه ، وقال :

ـ عظيم .

ثم أشار بيده ، مضيفًا بلهجة آمرة :

ـ استبدله إذن براصد آخر .. أريد متابعة ما يحدث فى المنطقة (ص) لحظة فلحظة .

هتف الرجل فى حماس :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

وبإشارة منه ، أسرع أحد رجاله يحمل الراصد ؛ لاستبداله ، فى حين سأل (كونار) قائد طاقم الحراسة فى صرامة :

ـ من المؤكَّد أن ما حدث قد أثار ضجة كبرى فى المنطقة .. أليس كذلك ؟!

أومأ الرجل برأسه فى أسف ، قائلاً :

ـ بلى يا سيادة الرئيس .. ولكننا سنصدر بيانًا رسميًا بإذن الله ، نؤكد فيه أن كل ما حدث كان تدريبيًا عمليًا ، تحت إشرافكم الشخصى ، حول التصدِّى لهجوم إرهابى مباغت ، يستخدم الأسلحة والوسائل التكنولوجية المتقدِّمة .

مطَّ (كونار) شفتيه ، متسائلاً :

ـ وهل يمكن أن يقنع هذا الشعب ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ إذا ما تمت صياغة الأمر على نحو جيِّد ،

وباستدلالات منطقية ، وعبر تصريح مباشر من سيادتكم ، من خلال قناة إعلامية عالمية ، تتمتّع بمصداقية خاصة ، و ...

قاطعه (كونار) فى صرامة :

ـ أتقصد شيئًا مثل تلك الجريدة المرئية ، التى تنتمى إليها الصحفية ، التى طلبت مقابلتى اليوم ..

اتسعت عينا الرجل عن آخرهما فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ رباه ! السيِّدة (مشيرة) ؟!

انعقد حاجبا (كونار) فى شدة ، وهو يهتف فى شراسة :

ـ أين ذهبت السيِّدة (مشيرة) ؟! لقد أمرت بالتحفُّظ عليها هنا .. أين ذهبت ؟!

وكاد الرجل ينهار أمامه ، وهو يستعيد مشهد تفتيش المبنى كله ، بعد سقوط الرائد (أيمن) ..

وبالذات مرحلة تفتيش قاعة الانتظار ..

ففى كل شبر من المبنى ، لم يكن هناك أثر للسيِّدة (مشيرة) ..

أدنى أثر ..

★ ★ ★

هرع (رمزى) إلى باب منزله ، استجابة لرنين الجرس المتواصل ، وهو يهتف فى انزعاج :

ـ مهلاً أيها الطارق .. مهلاً .. أنا فى الطريق ..

ولكنه لم يكد يفتح الباب ، حتى اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يحدّق فى وجه (مشيرة) ، هاتفًا :

ـ رباه ! (مشيرة) !! ماذا حدث ؟!

كانت شاحبة ، ممتقعة ، توحى كل خلية فيها بأنها قد عانت الكثير ..

والكثير جدًّا ..

وبهلع وارتياع لا حدود لهما ، اندفعت داخل المكان ، هاتفة بصوت ارتجف كل حرف منه :

ـ كارثة يا (رمزى) .. كارثة .

هتف بها فى انزعاج شديد ، وهو يغلق الباب خلفها .

- ماذا حدث يا (مشيرة) ؟! أين كنت طوال كل هذا الوقت ؟!

ألقت جسدها على أقرب مقعد إليها ، وهى تهتف فى ارتياع :

- كنت محتجزة فى مبنى وزارة الدفاع .. إن ما يحدث هناك رهيب يا (رمزى) .. رهيب إلى حد لا يمكنك تصوُّره .

أمسك كتفيها فى قوة ، فى محاولة لتهدئتها ، وهو يسألها :

- ماذا حدث بالضبط يا (مشيرة) ؟!

ارتجفت كل خلية فيها ، وهى تجيب :

- بعضهم حاول اقتحام مبنى وزارة الدفاع ، مما أحدث اضطرابًا شديدًا ، وارتباكا عامًّا ، خاصة وأن ذلك المقتحم قد نجح فى شق طريقه ، على الرغم من كل الاستحكامات والدفاعات .

هتف مذعورًا :

- يا إلهى ! إنها كارثة بالفعل .

هزَّت رأسها فى قوة ، قائلة :

- ليست هذه هى الكارثة .

اتسعت عيناه ، وهو يقول فى ارتياع :

- أهناك ما هو أكثر خطورة ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، فى اضطراب شديد ، قبل أن تقول بكل انفعالها و ذعرها :

- عندما حدث ذلك الاضطراب ، مع فوضى لا محدودة ، أدركت أنها فرصة مثالية للفرار من المكان ، ومن الموقف كله ، ولكن حاستى الصحفية غلبتنى ، ودفعتنى للسعى خلف ما يحدث ، فى محاولة للحصول على سبق صحفى نادر ، مادامت الظروف أقحمتنى فى هذا الموقف .

سألها بكل اللهفة والتوتر :

- ثم ماذا ؟!

التقطت أنفاسها فى صعوبة ، وهى تلهث من فرط الانفعال ، قبل أن تتابع فى عصبية زائدة :

ـ مصدرى السرى ، داخل مبنى الوزارة ، أبلغنى ذات مرة بوجود نفق سرى ، يمتدّ من حجرة الوزير ، إلى الساحة الخارجية للمبنى ، ولقد تم إعداده كوسيلة للفرار ، عند حدوث أية طوارئ ، تعجز فرق مكافحة الإرهاب أو الحراسة عن التصدّى لها .. ولأننى أعرف ، بحكم مهنتى وخبرتى ، كيف يفكّر رجال الأمن فى المعتاد ، فقد أدركت أنهم سيحاولون حماية الرئيس ، وكل القادة داخل المبنى ، وتهريبهم عبر النفق السرى ، لذا فقد أسرعت إلى مدخله ، وعبرته قبل أن يفعلوا ، فى محاولة لالتقاط بعض الصور النادرة ، لمحاولة إنقاذ الرئيس والقادة ، حتى بلغت حجرة الوزير .

اتسعت عيناها فى ارتياع كامل ، عندما بلغت هذه النقطة ، وهتفت :

ـ وما رأيته كان رهيبًا .. رهيبًا بحق .

سألها (رمزى) ، وقد بلغ قلقه مبلغه :

ـ وماذا رأيت يا (مشيرة) ؟!

انحدرت دموع الهلع من عينيها ، وهى تقول :

ـ عبر فرجة رفيعة ، فى مدخل النفق السرى ، رأيت مواجهة رهيبة ، بين الرائد (أيمن) ، ورئيس الجمهورية .

هتف (رمزى) .

ـ الرائد (أيمن) ؟! هل نجح فى اختراق نطاق الأمن بالفعل ؟!

قالت فى ارتياع :

ـ المهم هو ما حدث بعد هذا ، عندما اختفت الملامح البشرية بغتة ، من وجه الرئيس ، وظهرت ملامح أخرى مخيفة رهيبة ، لمخلوق غير بشرى .. مخلوق من عالم آخر .

تراجع (رمزى) كالمصعوق ، وهو يهتف :

ـ ماذا ؟!

ثم صاح بارتياع يفوق ارتياعها ألف مرة :

ـ أتقصدين أن الرئيس ليس ..

قاطعته بكل ذعر :

ـ ليس الرئيس يا (رمزى) .. إنه مخلوق من عالم آخر ، سيطر على كل المسئولين فى عالمنا .. لقد سمعت الرائد (أيمن) يسأله أين أخفى الرئيس والآخرين .. إنها كارثة يا (رمزى) .. كارثة بكل المقاييس .. عالمنا يسيطر عليه مخلوق غريب ، يمتلك القدرة على تقمّص هيئة أى مسئول كبير .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن يندفع نحوها مرة أخرى ، ويمسك كتفيها فى قوة ، هاتفًا :

ـ وماذا فعل الرائد (أيمن) مع ذلك المخلوق يا (مشيرة) ؟! ما الذى فعله ؟!

بكت بمرارة بلا حدود ، وهى تجيب :

ـ انهزم .. انهزم ولقى مصرعه بوسيلة بشعة .

ارتدّ (رمزى) مرة أخرى كالمصعوق ، وهو يحدّق فيها بكل ذعر الدنيا ، وقد أدرك الآن فقط مدى فداحة الكارثة ..

الكارثة التى تهدّد وطنه بالضياع ..

بل عالمه كله ..

وبلا استثناء ..

★ ★ ★

استقرّ (كونار) فى هيئة رئيس الجمهورية ، على مقعد كبير ، فى حجرة الوزير الرئيسية ، وارتكن بذقنه على قبضته المضمومة ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يطالع الراصد الجديد ..

كانت أعمال الحفر تجرى على الشاشة ، على قدم وساق ، دون أية معوقات أو منغصات ..

ودون أن تهبّ عاصفة جديدة ..

أو تحدث أية ظاهرة خارقة ..

أو حتى عادية ..

وكان هذا يعنى أن استنتاجه صحيح منذ البداية ..

الـ (ميجالون) لا يمكن استفزازه ، إلا بأساليب تقنية متقدّمة ..

أما الأساليب اليدوية ، حتى ولو كانت حفارات عملاقة ، تزيح أطنانًا من الرمال عنه فى كل ساعة ، فهى لاتثير اهتمامه قط ..

كان ينبغى أن يدركوا هذا منذ البداية ..

الـ (ميجالون) معدَ خصيصًا لمواجهة حالة بعينها ..

حالة هى ذروة التقنية والتكنولوجيا فى عالمه ..

ثم إنه هناك منذ سنوات لا حصر لها ..

منذ فشل الغزو السابق ..

ومن المؤكَّد أنه لم يفترض قط وجود تكنولوجيا متقدِّمة فى هذا العالم ..

ليس إلى الحد الذى بلغتة حضارتهم على الأقل ..

هذا هو التفسير المنطقى الوحيد ..

ولكن المشكلة أنه مازال يواصل إطلاق تلك الإشارة السخيفة ..

تلك الذبذبات القاتلة ، التى تعوق عملية الاتصال بين العالمين ..

ولكى تنجح المهمة ، التى جاء من أجلها إلى هذا العالم ، والتى أقسم على بذل حياته فى سبيل نجاحها ، لابد أن يتوقف الـ (ميجالون) عن العمل ..

وبأى ثمن ..

ولابد أن ينزاح (نور) وفريقه أيضًا من الوجود ..

وجودهم سيفسد الأمور حتمًا ..

وسيشعل روح الحماسة ..

والمقاومة ..

والنضال ..

وهذا آخر ما ينبغى حدوثه ..

لابد أن يسيطر شعبه على هذا العالم ، بأدنى خسائر ممكنة ..

ولا بد أن ينجح فى العبور إليه أوَّلاً ..

مهما كانت التضحيات ..

ومهما كان الثمن ..

ولقد نجح فى السيطرة على كل الأمور ، حتى هذه اللحظة ، على الرغم من الخسائر الفادحة ..

لقد خسر (سينور) ، و (بولار) ، واضطر للقتال بوجه عار ..

ثم إن تلك الصحفية قد نجحت فى الفرار ..

ولكن كل شىء يمكن إصلاحه ، مادام الكل يؤمن بأنه الرئيس ..

تلك القدرة المدهشة ، التى زودته بها تكنولوجيا عالمه ، جعلته قادرًا على خداع الكل ، وانتحال أية شخصية يشاء ..

وبمنتهى الدقة ..

وهذه هى أقوى مميزاته ..

خاصة وأنه قد أصبح وحيدًا ، واستنفد معظم أسلحته ..

كل ما عليه أن يفعله الآن ، هو أن يبلغ الـ (ميجالون) ..

وأن يطمئن إلى مصرع (نور) وأسرته ..

بل وفريقه كله ..

تراجع فى مقعده ، وداعب ذقنه بأصابعه فى عصبية ، وهو يتابع المشاهد على الشاشة ..

الحفارات العملاقة وصلت إلى عمق يزيد على العشرين مترًا ، فى قلب الرمال ..

والـ (ميجالون) لم يتحرك بعد ..

وعلى شاشات الرصد ظهرت المدرَّعة (صلب) ، على مسافة عشرة أمتار من ذلك الجسم الكروى ، تحت الرمال ..

وعبر جهاز الاتصال ، أتى صوت قائد فريق الحفر ، وهو يقول :

ـ عشرة أمتار ونبلغ الهدف يا سيادة الرئيس .. هل تأمر بفحص المدرَّعة ، بالموجات فوق الصوتية ، للبحث عن ..

قاطعه (كونار) فى صرامة عصبية :

ـ لا .. لا تكنولوجيا .

قال الرجل :

ـ ولكن يا سيادة الرئيس ، الأمر يحتاج إلى ..

قاطعه فى غضب :

ـ قلت : لا تكنولوجيا .

شحب وجه الرجل ، وهو يغمغم :

ـ كما تأمر يا سيادة الرئيس .. كما تأمر .

انعقد حاجبا (كونار) أكثر وأكثر ، وهو يتابع عملية الحفر بكل كيانه ، وعقله يعيد حساباته للمرة الألف ..

ساعات طويلة مضت ، منذ اختفت المدرَّعة (صلب) تحت الرمال ..

وأكثر من ثلاث ساعات مرَّت ، على بدء عملية الحفر ..

وهذا يعنى أنه من المستحيل أن يظلَّ (نور) وفريقه أحياء ، حتى هذه اللحظة ..

من المستحيل تمامًا ..

« سيادة الرئيس .. »

رفع عينيه فى حدة إلى مصدر الصوت ، وأطلَّ منهما غضب هادر ، وهو يهتف فى قائد طاقم الحراسة :

انعقد حاجبا (كونار) أكثر وأكثر ، وهو يتابع عملية الحفر بكل كيانه ، وعقله يعيد حساباته للمرة الألف ..

ـ ماذا هناك ؟!

أجابه الرجل ، فى توتر شديد :

ـ السيِّدة (مشيرة) يا سيادة الرئيس .

سأله فى شراسة ، بلا مبرِّر منطقى :

ـ ماذا عنها ؟! هل تم اعتقالها كما أمرت ؟!

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وازدرد لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

ـ إننا لم نعثر عليها فى منزلها يا سيادة الرئيس .

سأله فى شراسة أكثر :

ـ وماذا عن الجريدة ؟! من المؤكد أنها ستذهب فورًا إلى هناك .

عاد الرجل يهزّ رأسه ، مجيبًا :

ـ ليست هناك أيضًا .

هبَّ (كونار) من مقعده فى غضب ، وعقد كفيه خلف ظهره ، متسائلاً فى غضب :

ـ وماذا فعلتم بالضبط ؟!

أشار الرجل بيده ، فى توتر بالغ ، قائلاً :

ـ لقد تركت بعض رجالنا حول منزلها ، والبعض الآخر حول مبنى الجريدة ، وفور ظهورها سيـ ...

قاطعه (كونار) بغضب هادر :

ـ فور ظهورها ؟! هل ستنتظرون ظهورها ؟!

تراجع الرجل فى توتر بالغ ، وخُيِّل إليه أن الرئيس لا يبدو طبيعيًّا أبدًا هذه المرة ، وأن به شيئًا ما ، يبث فى أعماقه خوفًا مبهمًا ، جعله يقول :

ـ بم تأمر يا سيادة الرئيس ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (كونار) ، وهو يقول :

ـ ابحثوا عنها فى أى مكان يمكن أن تذهب إليه .. وأصدروا نشرة سرية ، بكل أوصافها ، لإلقاء القبض عليها فى أى مكان تذهب إليه .

امتقع وجه الرجل ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ مستحيل ! يا سيادة الرئيس .

صاح (كونار) بكل الغضب :

ـ مستحيل ؟!

أسرع قائد طاقم الحراسة يقول :

ـ معذرة يا سيادة الرئيس ، ولكن السيِّدة (مشيرة) شخصية عامة مرموقة ، ولها شعبية هائلة ، فى العالم كله ، باعتبارها رئيسة تحرير أوَّل وأكبر صحيفة مرئية ، ومهما حاولنا إحاطة أمر إلقاء القبض عليها بالسرية ، فسيتسرَّب هنا أو هناك حتمًا ، وعندئذ ستصبح فضيحة عالمية ، و ...

قاطعه (كونار) بصرامة غاضبة آمرة :

ـ اصدر نشرة علنية بكل أوصافها .

خُيِّل للرجل أنه لم يسمع العبارة ، فمال نحو (كونار) ، متسائلاً فى دهشة حملت رنَّة استنكار :

ـ أصدر ماذا ؟!

صاح به فى حدة :

ـ نشرة علنيـة يا رجل .. نشرة تُعلن أن الصحفية

(مشيرة) خائنة ، ومتهمة بالتجسُّس لحساب جهة أجنبية ، وأننا نناشد المواطنين الإبلاغ عن أية معلومات بشأنها .

اتسعت عينا الرجل فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ سيادة الرئيس .. إننى ..

قاطعه بصرخة هادرة :

ـ نفذ الأمر .

تراجع الرجل فى حدة مع الصرخة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى ذلك اللهب ، الذى اشتعل فى عينى (كونار) مع صرخته ، ووجد نفسه يهتف فى هلع :

ـ كما تأمر يا سيادة الرئيس .. كما تأمر ..

ثم دار على عقبيه ، واندفع يغادر المكان لتنفيذ الأمر ، دون أن ينتبه إلى أنه لم يؤدِ التحية العسكرية للرئيس كما ينبغى ..

والواقع أن (كونار) أيضًا لم ينتبه إلى هذا ، أو يبالى به ..

لقد ألقى أمره ، ثم انشغل بكيانه كله ، فى مراقبة شاشة الراصد ، فى انتظار انتشال المدرَّعة (صلب) ..
فعلى الرغم من ثقته بالنتائج ، كان يصر على رؤية الجثث بنفسه ..
جثث (نور) ..
وعائلته ..
كلها ..

* * *

بكل قوته ، راح (أكرم) يضرب الجدار الشفاف السميك بقبضته ، وهو يصرخ :
ـ أخرجنا أيها الوغد .. أطلق سراحنا أيها الحقير .
هزَّ رئيس الجمهورية رأسه فى أسى ، وهو يقول :
ـ كفى يا ولدى .. كفى باللَّـه عليك .. أنت تعلم أنه لا فائدة .
صرخ (أكرم) :
ـ مستحيل ! مستحيل !
ثم عضَّ شفتيه ، بكل مرارة الدنيا ، حتى أدماهما ، وهو يقول :

ـ ألم تسمع ما قاله ذلك الحشرة يا سيادة الرئيس ؟! إنه يطلق الكل خلف زوجتى ، ويتهمها بالعمالة والخيانة .. هل تدرك ما الذى يمكن أن يصيبها ، من جراء هذا ؟
قلب القائد الأعلى كفيه ، قائلاً :
ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟!
صرخ (أكرم) :
ـ أى شىء .. أى شىء .
ثم انخفض صوته بمرارة رهيبة ، وهو يضيف :
ـ لا يمكن أن نجلس هنا ساكنين ، ونتركها تواجه الخطر وحدها ..
مستحيل ! مستحيل !
راح مدير مكتب الوزير يهزّ رأسه ، فى انهيار ويأس ، والوزير يقول :
ـ ألديك أية اقتراحات يا سيِّد (أكرم) ؟! إننا مستعدون لمعاونتك ، فى أية فكرة تخطر ببالك :

انغرس قوله هذا ، فى قلب (أكرم) كخنجر ماض ..

إنهم مستعدون لمعاونته ، فى أية فكرة تخطر بباله ..

أية فكرة !

ولكن ما الذى يمكن أن يفعله ؟!

ما الذى يمكن أن يفعلوه جميعًا ، دون سلاح واحد ؟!

أو حتى وسيلة واحدة ؟!

لابد أن يعترف بالحقيقة المرة ..

إنهم سجناء هنا ..

بلا حول ..

ولا قوة ..

ولا أمل ..

وبكل يأسه ، هتف :

ـ ساعدنا يا إلهى ! ساعدنا .

ثم ضرب قبضته براحته ، صائحًا فى عجز :

ـ آه لو لم أفقد ساعتى وسط الصحراء .

قال الرئيس فى توتر :

ـ هل تفيدك معرفة الوقت الآن ؟!

هزَّ رأسه فى قوة ، مجيبًا :

ـ لست أفتقد التوقيت ، بل وسيلة الاتصال .

اعتدل القائد الأعلى ، قائلاً فى اهتمام :

ـ وبم تفيد وسيلة الاتصال ، فى حجمنا هذا ؟!

لوَّح (أكرم) بذراعه ، قائلاً :

ـ يمكننا أن نرسل إشارة استغاثة على الأقل .

هزَّ القائد الأعلى رأسه فى توتر ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! مع حجمنا هذا ، وحتى باستخدام أداة اتصال فائقة القوة ، لن يمكن لإشارتنا أن تتجاوز حدود هذه الحجرة ، على أكثر تقدير .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ وكيف يمكنك الجزم ؟!

رفع القائد الأعلى يده ، مجيبًا فى حزم :

ـ لقد أجريت أكثر من محاولة .

حدَّق (أكرم) فى الساعة الرقمية ، التى تحيط بمعصم القائد الأعلى ، وهو يقول فى مرارة يائسة :

ـ حقًّا ؟!

كان يتمنى أن يلقى جسده المكدود هذا على أقرب مقعد فى الوجود ، ولكن وسط فراغ رهيب كهذا ، لا يوجد حتى معنى للوقوف أو الجلوس ..

وفى مرارة بلا حدود ، خفض (أكرم) رأسه ، مغمغمًا :

ـ لا فائدة إذن .

تمتم الرئيس ، وهو يربِّت على كتفه مشفقًا :

ـ لا تيئس يا ولدى .. رحمة اللّٰه (سبحانه وتعالى) واسعة ، وتشمل كل شىء .

غمغم (أكرم) :

ـ أعلم هذا بكل تأكيد يا سيادة الرئيس .. أعلم هذا .

كان يشعر بعجز وألم لا حدود لهما ، وهو سجين كجرثومة صغيرة ، داخل كرة شفافة ، مختفية تحت مقعد صغير ، فى حجرة وزير الدفاع ، وزوجته تواجه خطرًا بلا حدود ، على يد ذلك المخلوق الغريب القاتل ..

لا يمكنه أبدًا احتمال هذا ..

لا يمكنه أن يقبل بعجزه فى مواجهة أمر كهذا ..

صحيح أن حياته مع (مشيرة) ليست مستقرة ، وأنهما يختلفان فى كثير من شئون الحياة ، وفى مفاهيمهما المباشرة للأمور ..

ولكنها زوجته ..

وهو يحبها ..

وبكل ذرة فى كيانه ..

ولا يمكن أن يحتمل أبدًا أن يصيبها أدنى مكروه ..

آه لو أمكنه فقط إبلاغ الآخرين بالأمر ..

آه لو أمكنه إرسال استغاثة ..

حتى ولو بأسلوب غير مباشر ..

أو ...

فجأة ، بتر أفكاره دفعة واحدة ، عندما لمح قدمًا هائلة ، تتحرك بالقرب من الكرة ..

ثم انقضَّت عليها أصابع ماردة ، انتزعتها من أسفل المقعد ، ورفعتها إلى أعلى بحركة عنيفة ، جعلت الكل يرتطم ببعضه ، والرئيس يهتف :

ـ رباه ! لقد عثر علينا .

مع آخر حروف كلماته ، ملأت عينا (كونار) الناريتين المشهد كله ، وبدا صوته أشبه بدوى ألف صاعقة ، وهو يقول :

ـ آه .. أخيرًا عثرت عليكم .

هتف (أكرم) :

ـ أيها الوغد الحقير .

كان من الواضح أنه من المستحيل أن يسمعهم (كونار) وهم فى هذا الحجم الضئيل ، فقد تابع مباشرة ، وبلهجة ظافرة ، ساخرة ، شامتة :

ـ كنت أخشى ألا تشاهدوا معى المرحلة الحاسمة ، عندما تحين لحظة التماس العظمى .

قال الرئيس فى عصبية :

ـ ما الذى يتحدَّث عنه هذا الوغد ؟!

غمغم القائد الأعلى :

ـ أخشى أننى قد فهمت ما يعنيه .

واصل (كونار) بنفس اللهجة ، وهو يرفع الكرة الصغيرة ، ليلصقها بالجدار :

ـ فى منتصف الليل تمامًا .. أى بعد ما يقرب من خمس ساعات فحسب ، ستتدفَّق قواتنا بلا حدود إلى عالمكم .

كادت عينا مدير مكتب الوزير تقفزان من محجريهما ، وهو يصرخ ، بكل رعب الدنيا :

ـ غزو آخر .. لا .. هذا مستحيل ! مستحيل !

قهقه (كونار) فى ظفر شامت ، وكأنما سمع صرخته ، قبل أن يتابع :

ـ وخلال ثلاث ساعات فحسب ، سيمكننا السيطرة على بلدكم هذا ، وقبل مرور ثمان وأربعين ساعة ، سنكون قد سيطرنا على عالمكم كله .

ثم استدار يبتعد عنهم ، وهو يكمل :

ـ وأنا حريص على أن تشاهدوا كل هذا بأنفسكم .

هتف (أكرم) :

ـ أيها الوغد الحقير .. أيها الوغد الحقير .

ولكن (كونار) لم يسمع حرفًا واحدًا ..

أو هو تجاهل كل ما سمعه ..

فبكل كيانه ، كان يراقب تلك الدقائق ، من عمل الحفارات العملاقة .

الدقائق التى قد يتوقَّف عليها مصير عالم بأسره ..

الدقائق الأخيرة .

* * *

٩ ـ الأمل الأخير ..

لم يشعر (رمزى) ، فى حياته كلها ، بالقهر والمرارة ، مثلما شعر بهما فى تلك اللحظات ..

رفاقه كلهم مجهولو المصير ..

بل عالمه كله يواجه خطرًا بلا حدود ..

وهو يجلس فى منزله عاجزًا ، لا يجد ما يمكنه أن يفعله ، أو يواجه به الموقف الرهيب ..

يجلس ليرعى ابنه (محمود) ، وابن (نور) و(سلوى) و(طارق) ، و(مشيرة) التى انهارت تمامًا ، إلى الحد الذى اضطره إلى حقنها بمادة منوِّمة ، لتستعيد هدوءها وعقلها ..

وهو لا يدرى حتى ما الذى ينبغى أن يفعله ..

ومن يمكن أن يلجأ إليه ..

فطبقًا لحديث (مشيرة) ومعلوماتها ، لم يعد هناك من يمكن أن يثق به ..

الكل سقطوا ..

الكل بلا استثناء ..

الوزير ..

القائد الأعلى ..

وحتى رئيس الجمهورية ..

كل القيادات أصبحت في قبضة مخلوق من عالم آخر ..

مخلوق يسعى للسيطرة على العالم ..

وغزوه ..

واحتلاله ..

من يمكن أن يتصدَّى لأمر كهذا ..

الدكتور (جلال) قدَّم كل ما يمكنه ..

قدَّم سلاحًا سريًا ، كان يدخره لمواجهة قوية عنيفة ..

أقوى سلاح في جعبته ..

الرائد (أيمن) ..

أوَّل مقاتل شبه آلى ، بعقل بشرى كامل ، فى التاريخ كله ..

ولكن حتى هو انهزم ، أمام ذلك المخلوق ..

وفقد عالمه سلاحه السرى ..

وربما حريته ..

وأمله الأخير أيضًا ..

ومع ذكر الرائد (أيمن) ، وتكوينه شبه الآلى ، قفزت أفكاره إلى (س - ١٨)(*) ..

ذلك المقاتل الأطلنطى الخارق ، الذى برز يومًا ، من قلب مقبرة فرعونية قديمة ، ليضيف إلى الفريق قوة بلا حدود ..

والذى أنقذ الأرض كلها يومًا ، من فجوة كادت تلتهمها بلا رحمة ، وتلقى بها فى عالم من القساة الطغاة (**) .

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) ... المغامرة رقم (٤٧) .

(**) راجع قصة (كوكب الطغاة) ... المغامرة رقم (١١١) .

عالم هو الجحيم بعينه ..

كم تمنى لحظتها لو رآه يعود إلى الأرض ، من أعمق أعماق الفضاء ؛ ليتصدَّى للغزاة ، وينقذ الأرض مرة أخرى ..

كم تمنى لو تتحقَّق المعجزة ..

ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ..

والواقع ليس سهلاً بسيطًا هكذا ..

للأسف ..

وبكل مرارته ويأسه ، هتف (رمزى) :

ـ أين أنت يا (س ـ ١٨) ؟! أين أنت ؟! إننا بحاجة إليك .. كلنا بأشدّ الحاجة إليك .

كان يتمنى لو أن صرخته هذه قادرة على اختراق الزمان والمكان ، والوصول إلى (س ـ ١٨) ..

ولكن هيهات ..

حتى لو تحقَّقت المعجزة ، وحدث هذا ، لن يستجيب (س ـ ١٨) أبدًا ..

لن يستجيب إلا لصوت (نور) وحده ..

أين الأمل إذن ؟!

من يمكنه أن يتصدى لما يحدث ؟

من ؟!

من ؟!

وفجأة ، ودون مقدمات ، قفز إلى ذهنه اسم واحد ..

اسم لم يدر كيف غاب عن رأسه طويلاً ..

ومع الاسم ، خفق قلبه فى عنف ..

نعم ..

ربما كان هو الأمل بالفعل ..

الأمل الأخير ..

بعد اللّٰه (سبحانه وتعالى) بالطبع ..

وبكل لهفته ، ومع ذلك الأمل ، الذى انتعش فى صدره ، اندفع نحو هاتف الفيديو ، وطلب رقمًا خاصًا ..

ومضت لحظات من الصمت ، قبل أن يظهر على الشاشة وجه فتاة حسناء ، قالت فى هدوء ، وبابتسامة ودود :

- مؤسسة الرياسة .. مبنى مستشارى السيد الرئيس .. ما الذى يمكننى تقديمه إليك يا سيِّدى ؟!

هتف (رمزى) بكل لهفته :

- أريد التحدُّث إلى المستشار الأمنى الخاص للرئيس .. إلى السيد (أمجد صبحى) شخصيًّا .

قالها ، وقلبه ينتفض مع جسده فى عنف ، وقد بدا له أن هذا الرجل ، صاحب التاريخ المشرَّف فى عالم الأمن ، والذى شاركهم مغامرة سابقة ، وأبلى فيها بلاءً حسنًا(*) . يمكن أن يكون بالفعل أملهم ..

أملهم الوحيد ..

والأخير ..

* * *

« متر واحد ونبلغ الهدف يا سيادة الرئيس ..»

(*) راجع قصة (الغزاة) ... المغامرة رقم (١٢٤) .

احتشد قدر هائل من الانفعال ، فى كيان (كونار) ، وهو يراقب شاشة الراصد ، ويرى الحفارات العملاقة ، التى صنعت حفرة هائلة ، فى قلب الصحراء ، بلغ عمقها ما يقرب من الثلاثين مترًا ..

ها هو ذا الهدف ، على مسافة متر واحد ..

متر واحد ، ويبلغ الـ (ميجالون) ..

متر واحد ..

ولكن هذا المتر بالتحديد يحتاج إلى منتهى الدقة ..

والحيطة ..

والحذر ..

فلمسة واحدة خاطئة للـ (ميجالون) ، تكفى لإشعال كل أجهزته الدفاعية دفعة واحدة ..

وإفساد كل ما فعله ..

لذا فقد قال فى صرامة ، عبر جهاز الاتصال :

- لا تتجهوا إلى الهدف مباشرة .. حاولوا انتشال المدرَّعة أوَّلاً ، ثم سندور حول ذلك الجسم بمنتهى الحذر .

سأله قائد فرقة الحفر :

ـ أما زلت تصرّ على عدم استخدام التكنولوجيا بأيـة صورة ، يا سيادة الرئيس ؟!

أجاب فى صرامة :

ـ كل الإصرار .

هزّ الرجل رأسه فى توتر ، وقال :

ـ ولكن لو حاولنا الدوران حول ذلك الجسم ، سترتكز قاعدته على مرتفع رملى محدود ، وهذا قد يؤدى إلـى انهيار الرمال ، وسقوطه على أحد جانبيه ، على نحـو عشوائى .

أجابه (كونار) ، وهو يفكّر فى الأمر بعمق :

ـ لن يحدث هذا .. ذلك الجسم مصمَّم بحيث يستقر دومًا على قاعدته ، حتى ولو وضعت تحته كرة تنس .

هتف الرجل فى دهشة :

ـ وكيف أمكنك معرفة هذا يا سيادة الرئيس ؟!

انعقد حاجبا (كونار) فى شدة ، مع سؤال الرجل ..

كيف تزايدت أخطاؤه فى السـاعات الأخيرة ، إلـى هذا الحد ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

لقد غلبه الانفعال مرة أخرى ، وجعل لسانه يفلت بأسرار لا ينبغى الإفصاح عنها قط ..

أسرار يمكن أن تكشف أمره ..

وتفسد خطته ..

الخطة التى أقسم أن يحمى نجاحها بحياته ..

وكيانه ..

ووجوده كله ..

وهذا يعنى حتمًا أنه بحاجة إلى بعض الراحة ..

وإلى إعادة شحن خلاياه ..

وعقله ..

« سيادة الرئيس .. أأنت واثق من هذه المعلومة ؟! »

انتزعه صوت الرجل من أفكاره الغاضبة ، فهتف به فى شراسة :

ـ لا شأن لك بهذا .. إنها أسرار أمنية عليا .

تراجع الرجل فى شحوب ، مغمغمًا :

ـ أعلم هذا يا سيادة الرئيس .. أعلمه بالتأكيد ، ولكننى كنت أسأل عما إذا كنت سيادتك ..

قاطعه فى صرامة :

ـ نعم .. أنا واثق مما أقول .

تمتم الرجل :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

كان (كونار) يشعر ، وربما لأوَّل مرة فى حياته ، بتوتر شديد ، يسرى فى كل خلية فى جسده ، وهو يقول :

ـ انتشلوا المدرَّعة (صلب) أوَّلاً .. نريد أن نعرف مصير المقدَّم (نور) وعائلته .

بدا الأسى على وجه الرجل ، وهو يتمتم :

ـ معذرة يا سيادة الرئيس ، ولكننى لست أعتقد أن كائنًا حيًا يمكنه أن ..

قاطعه فى صرامة :

ـ انتشلوها أوَّلاً ..

زفر الرجل فى توتر ، مغمغمًا :

ـ كما تأمر يا سيادة الرئيس .. كما تأمر ..

استند (كونار) مرة أخرى بذقنه على راحته ، وهو يتابع المشهد بذلك التوتر العنيف ..

كانت الحفارات العملاقة تواصل عملها ، عبر الرمال ، لتبلغ (صلب) ..

وفى سرعة ، راحت المدرَّعة القوية تظهر أكثر .. وأكثر ..

وأكثر ..

حتى بدت قمتها واضحة ..

ولثوان ، خيَّم على كل شىء صمت رهيب ، والكل يحدِّق فى فتحة المدرَّعة العلوية بخوف وتردُّد ، حتى قال (كونار) فى عصبية :

ـ ماذا تنتظرون ؟!

انتزعهم قوله من جمودهم وخوفهم ، فاندفعوا نحو المدرّعة ، وتابعتهم شاشة الراصد ، وهم يتعاونون لفتح قمتها ..

وتضاعف توتر (كونار) ..

تضاعف ألف مرة ، وهو يتابع ما يحدث ..

كان واثقًا من أنه من المستحيل أن يصمد مخلوق حى ، طوال هذه الفترة ، تحت أطنان من الرمال ..

ولكنه كان يرغب فى التأكُّد بنفسه ..

وبكل اهتمامه وانتباهه ، تابع فتح قمة المدرّعة ، ثم ضغط الأزرار أمامه فى عصبية ، ليغوص الراصد داخل المدرّعة ، ويضىء تجويفها ، و ...

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يقفز من مقعده ، صارخًا :

ـ مستحيل !

فما رآه داخل المدرّعة ، كان يخالف كل توقعاته ..

بل كل قواعد العقل والمنطق ..

بلا استثناء .

★ ★ ★

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث بإذن الله

(نقطة التماس)

الرمال الحية

- كيف اختفى (نور) و (سلوى) و (نشوى) فى قلب رمال الصحراء ؟!
- ماسر ذلك المخلوق ، الذى ينتحل شخصية وزير الدفاع ؟!
- ترى هل يربح الفريق معركته هذه المرة ، أم تبتلعه (الرمال الحية) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم

نقطة التماس



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

132

الثمن فى مصر ٢٠٠ م
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

